

# الفصل السادس

## نظريات التوجيه والارشاد النفسى

### ● مدخل :

لا يوجد علم واحد مستقل تماما عن غيره من العلوم ، فجميع العلوم يتصل بعضها ببعض الآخر اخذا وعطاء ، ورغم هذا يبقى لكل علم كيانه المتميز .

والتوجيه والارشاد النفسى هو احد العلوم الانسانية التى تستهدف خدمة الانسان واسعاده ، وهذا هدف مشترك بين مختلف العلوم ، وان اتخذ كل منها اسلوبه المتخصص لتحقيق هذا الهدف المشترك تحت اسم أو عنوان مختلف مثل : الارشاد النفسى والعلاج النفسى والتربية والخدمة الاجتماعية ، وغير ذلك من العلوم والتخصصات المختلفة .

والناس ، عندما يواجهون مشكلات الحياة المختلفة ، قد يلجأون الى الطبيب ، أو المعلم ، أو الأخصائى الاجتماعى ، أو المرشد النفسى ، أو المعالج النفسى ، أو المحامى ، أو عالم الدين ، ومن فى حكمهم ، لمعاونتهم فى التغلب على مشكلات حياتهم اليومية . ويستخدم معظم هؤلاء مصطلح التوجيه والارشاد عندما يتحدثون عن الخدمات التى يقدمونها .

ومن الضرورى تحديد الصلة أو العلاقة بين التوجيه والارشاد النفسى وبين بعض العلوم الانسانية الأخرى التى يأخذ منها ويعطيها من حيث الأهداف المشتركة والأساليب المتداخلة ، وفى نفس الوقت اظهار اهم الفروق الجوهرية بين التوجيه والارشاد وبين هذه العلوم .

وسنناقش العلاقة بين التوجيه والارشاد النفسى والعلوم الأخرى فيما ياتى(١) :

---

(١) حامد زهران ، التوجيه والارشاد النفسى . ( القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٧ ) ص ١٥ - ٢٥ .

## ١ - التوجيه والارشاد النفسى وعلم النفس :

يهتم علم النفس بصفة عامة بدراسة السلوك فى سوائه وانحرافه ، وهو اهم الموضوعات التى يدرسها المرشد النفسى عند اعداده مهنيا . والتوجيه والارشاد النفسى هو احد فروع « علم النفس التطبيقى » ، كما يستفيد من « علم النفس الاكلينيكى » ( العلاجى ) فى التعرف على الشخص السوى وغير السوى نفسيا ، وفى معرفة الدرجات المتقدمة من الاضطراب النفسى مثل العصاب .

ونلخص ارتباط التوجيه والارشاد النفسى بالفروع المختلفة لعلم النفس فى الآتى :

- يستفيد الارشاد النفسى من « علم نفس النمو » فى معرفة مطالب النمو ومعايره التى يرجع اليها فى تقييم نمو الفرد ، والاهتمام برعاية النمو السوى فى كافة مظاهره الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية . كما يؤكد الارشاد النفسى اهمية مساعدة الفرد فى تحقيق النضج النفسى ، وهو هدف مشترك مع « علم نفس النمو » .

- ويستفيد الارشاد النفسى من « علم النفس الاجتماعى » الذى يدرس السلوك الاجتماعى كاستجابات لمثيرات اجتماعية . وفى الارشاد الجماعى بصفة خاصة من دراسة سيكولوجية الجماعة وبنائها ودينامياتها والعلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى ومعايير السلوك فى الجماعة وتوزيع الأدوار فيها .

- ويستفيد الارشاد النفسى من « علم النفس التربوى » الذى يهتم بالتعلم واكتساب السلوك والعادات ، واهمية التدعيم والتعيم وغيرها من قوانين التعلم . كما يهتم علم النفس التربوى بالدافعية والقدرات . وعملية الارشاد فى جوهرها عملية تعلم ، حيث تستهدف تعديل سلوك الفرد .

- ويستفيد الارشاد النفسى من « علم النفس العام » فى دراسة الدوافع والانفعالات والسلوك والشخصية وغيرها .

- وعند دراسة الحالة فى الارشاد النفسى يحتاج المرشد الى « القياس النفسى » ، حيث تطبق الاختبارات النفسية فى مجالات القدرات والاستعدادات والشخصية وغيرها من المقاييس .

## ٢ - التوجيه والارشاد وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية :

ان الصلة وثيقة بين التوجيه والارشاد وعلم الاجتماع ، نظرا لاهتمام كل منهما بالسلوك الاجتماعى والقيم والتقاليد والعادات والمعايير الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية . وتعتمد طريقة « الارشاد الجماعى » على مفاهيم اساسية فى علم الاجتماع ..

- فيهتم المرشد النفسى بدراسة الأسرة باعتبارها اقوى العوامل الاجتماعية تأثيرا على الفرد وفى التنشئة الاجتماعية للفرد . كما يهتم المرشد بمعرفة « الطبقة الاجتماعية » التى ينتمى اليها الفرد واسلوب حياته فى اطار الطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها ، والحراك الاجتماعى الرأسى من طبقة الى اخرى ، حيث ان كل هذا يؤثر فى حياة الفرد .

- ويهتم المرشد النفسى بدراسة نظام الحياة فى الريف والحضر والبدو ، حيث توجد فروق بين الأشخاص بحكم نشاطهم فى كل من هذه البيئات ، فنرى المرشد النفسى يهتم بدراسة الحياة فى البيئات المختلفة .

- ويشترك الارشاد النفسى و « الخدمة الاجتماعية » فى ان كلا منهما خدمة ميدانية فى مجال مواجهة المشكلات الانسانية . ويستعير الارشاد النفسى من الخدمة الاجتماعية اساليب هامة مثل دراسة الحالة والمقابلة . ويشترك المرشد والأخصائى الاجتماعى فى تقديم الخدمات التى تتناول البيئة الاجتماعية بالتعديل حتى يسهل حل المشكلات ، ويشتركان معا فى الاهتمام بمشكلات الأسرة والدراسة والعمل .

## ٣ - التوجيه والارشاد والعلوم الطبية :

يتضمن الارشاد النفسى « عملية علاجية » ، ويرتبط العلاج عند الناس بالطب . والارشاد النفسى ملء بالمصطلحات المشبعة بالمعنى الطبى مثل : التشخيص والعلاج ، وهذه المصطلحات مشتركة بين الارشاد النفسى والطب النفسى .

وهناك قدر كبير من المعلومات الطبية لابد ان يحيط بها المرشد والمعالج النفسى والموجه المهنى ، خاصة فى مجال التأهيل المهنى . فمن واقع خبرة المؤلف لأكثر من ربع قرن فى مجال التوجيه المهنى والارشاد النفسى للمعوقين ، وعملا « بمفهوم الفريق » ( Team Concept )

فى التاهيل كان التعاون وثيقا بين الأطباء والمرشد النفسى خاصة عند وضع خطة تاهيل كل معوق (٢) .

#### ٤ - التوجيه والارشاد وعلم الاقتصاد :

التوجيه المهنى من اهم مجالات التوجيه ، حيث يهتم الموجه بمعاونة الفرد فى العالم المهنى والاقتصادى تعريفا واختيارا واعدادا وتشغيبا وتوافقا . ومن ثم فهو يهتم بدراسة فرص العمل والتغيرات التى تطرا على المهن فى اطار النمو العلمى والتقدم التكنولوجى الحديث فى عالم اقتصاديات العمل .

ومن الناحية الاقتصادية البحتة فان الارشاد النفسى يرتبط بالاقتصاد كضرورة ملحة حتى لا تحدث خسارة قومية فى « القوى البشرية » التى تستثمر اثناء مراحل التعليم المختلفة وتوجيهها الى الدراسات التى تستلزمها خطة التنمية بالدولة .

#### ٥ - التوجيه والارشاد والدين :

من اهم طرق الارشاد النفسى « الارشاد الدينى » الذى يدخل الدين فى ديناميات عملية الارشاد ، لأن العقيدة الدينية السليمة تعتبر دعامة اساسية للسلوك السوى والصحة النفسية السليمة . وقد اجمع المرشدون النفسيون على اخلاف اديانهم على ان الارشاد الدينى طريقة ارشادية تقوم على اساس ومفاهيم ومبادئ واساليب دينية روحية اخلاقية .

ولا بد ان يلم المرشد النفسى الماما كافيا بمفاهيم اساسية دينية مثل : طبيعة الانسان كما حددها الله ، واسباب الاضطراب النفسى فى راي الدين مثل ارتكاب الذنوب والضلال والصراع وضعف الضمير ، واعراض الاضطراب النفسى فى نظر الدين مثل : الانحراف والشعور بالاثم والخوف والقلق والاكتئاب ، والوقاية الدينية من الاضطراب النفسى مثل : الايمان والسلوك الدينى والسلوك الأخلاقى ، وخطوات الارشاد النفسى الدينى مثل : التوبة والاستغفار والتعلم والدعاء وابتغاء رحمة الله والصبر والتوكل على الله . ان الارشاد النفسى بحاجة الى المرشد الذى يعرف الله ويخشاه ويراقبه فى عمله .

(٢) يرجع الى الفصل السابع عشر من الكتاب لمزيد من التفاصيل .

## ٦ - التوجيه والارشاد النفسى والعلاج النفسى :

يعتبر كل من التوجيه والارشاد والعلاج النفسى توأمين ، وعلى الرغم من انهما ليسا توأمين متماثلين فانهما متشابهان الى حد كبير . وهذا يعنى ان اوجه الاتفاق بينهما اكثر من اوجه الاختلاف ، وعناصر الائتلاف والتقريب اكثر من عناصر التفرقة والتباعد .

وفيما يلى اهم « عناصر الاتفاق » بين الارشاد النفسى من ناحية والعلاج النفسى من ناحية اخرى :

- كلاهما عملية مساعدة وخدمة الفرد نفسيا بهدف تحقيق فهم النفس وتحقيق الذات وحل المشكلات وتحقيق التوافق النفسى والصحة النفسية .

- المعلومات المطلوبة لدراسة الحالة ووسائل جمعها واحدة فى كل منهما .

- يشتركان فى الاستراتيجيات الانشائية والوقائية والعلاجية ، كما يشتركان فى الأسس التى يقومون عليها . ويستخدمان لغة واساليب مشتركة .

- يضم علم النفس العلاجى كلا من الارشاد العلاجى والعلاج النفسى ، وينطوى على مفاهيم ومهارات مشتركة بين عمليات الارشاد النفسى والعلاج النفسى .

- يلتقى كل منهما مع الآخر فى الحالات الحدية ( Boarderline Cases ) بين السوية واللاسوية او بين الأصحاء والمرضى .

ويوضح الجدول رقم ( ١ ) اهم عناصر الاختلاف بين الارشاد والعلاج النفسى :

العلاج النفسى	الارشاد النفسى
<ul style="list-style-type: none"> <li>- الاهتمام بمرضى العصاب أو الذهان أو ذوى المشكلات الانفعالية الحادة .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- الاهتمام بالأسوياء الذين لم تظهر لديهم أنماط عصابية واضحة .</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- المشكلات أكثر خطورة وعمقا ، ويصاحبها قلق عصابى .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- المشكلات أقل خطورة وعمقا ، ويصاحبها قلق عادى .</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- التركيز على اللاشعور .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- حل المشكلات على مستوى الوعى .</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- المعالج هو المسئول عن إعادة تنظيم شخصية العميل .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- العميل يعيد تنظيم شخصيته بنفسه .</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- يقوم المعالج بالدور الأكبر فى عملية العلاج .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- تقع على العميل مسئوليات وواجبات فى الاختيار بين البدائل ووضع الخطط واتخاذ القرارات وحل مشكلاته .</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- المعالج يعتمد أكثر على المعلومات الخاصة بالحالات الفردية .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- المرشد يبرز نقاط القوة عند العميل ويستخدمها فى المواقف الشخصية والاجتماعية .</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- تدعيمى بتركيز خاص .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- تدعيمى تربوى .</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- يستغرق وقتا طويلا .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- قصير الأمد عادة .</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- تقدم خدماته عادة فى العيادات النفسية والمستشفيات النفسية والعيادات الخاصة .</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- تقدم خدماته عادة فى المدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات الاجتماعية .</li> </ul>

جدول رقم ( ١ ) - أهم عناصر الاختلاف بين الارشاد والعلاج النفسى

### ● مفهوم النظرية (٣) :

« النظرية » هي أكثر من مجرد رأى ، أو تأمل ، أو ذكر وتقرير موقف ، أو وجهة نظر . فهي أكثر من تجميع مبادئ أو طرق ووسائل ، أو تلخيص جوانب معرفية أو مبادئ أو وسائل مشتقة من الخبرات والبحوث ... فـ « النظرية » ( Theory ) هي محاولة لتنظيم المعرفة وتكاملها ، ولرد عن السؤال : لماذا ؟ . فالنظرية تنظم الحقائق والمعرفة فى احد المجالات أو الميادين ، وتفسرها وتعلنها فى شكل قوانين أو مبادئ . ومن شأن التنظيم أو الترتيب لما نعرفه أن يتيح أو ييسر الوصف المنظم الذى يؤدي الى استخلاص الشرح والتفسير والتنبؤ بطريقة تجعل اختبارها ميسورا . فالنظريات توضع لخدمة هذه الأغراض ، ولا تنشأ فى فراغ بانتظار من يكشف الستار عنها .

وتتميز النظرية الشكلية ببعض الخصائص . . فهي أولا ، تتضمن مجموعة من القضايا أو الفروض المعلنة ، التى ينبغى أن تكون ثابتة داخليا . وثانيا ، هناك مجموعة من التعاريف للمصطلحات أو المفاهيم الخاصة بالنظرية ، ومن شأن هذه التعاريف ان تربط المفاهيم بالبيانات المتاحة من المشاهدة أو الملاحظة أو العمليات ، وبذا تتيح الفرصة لدراسة المفاهيم من خلال البحث والتجريب . وثالثا ، فان المصطلحات أو المفاهيم تحمل نوعا من العلاقة بعضها ببعض الآخر ، وتشتق هذه العلاقات من مجموعة من القواعد المنطقية ، أى علاقات السببية . ورابعا ، ومن خلال هذه التعاريف والعلاقات تنشأ الفروض أو تستنبط .

ولا يمكن تقييم مدى صحة النظريات وصدقها الا اذا وضعت موضع الاختبار ، وهناك بعض المعايير المقترحة لتقييم النظرية عموما ، تتلخص فى الآتى (٤) :

---

C. Patterson; **Theories of Counseling and Psycho-** (٣)  
**therapy**, « Fourth Ed . » . ( N.Y. :Harper & Row, 1986 ) , pp.  
XIX - XXI .

C. Hall and G. Lindzey ; **Theories of Personality** (٤)  
« 2 nd. ed. » . ( N.Y. : Wiley, 1970 ) .

## ١ - الأهمية ( Importance ) :

فالنظرية ينبغي ان تكون عديمة الفائدة او تافهة ، بل تكون ذات نفع ودلالة . فمن المفيد ان تكون النظرية ذات فائدة عملية وقابلة للتطبيق فى مواقف مختلفة ، ولا تكون قاصرة على مواقف معينة ومحددة . وينبغي ان تكون ذات نفع وارتباط بالحياة او بالسلوك الواقعى . ولا شك فى ان درجة الأهمية يصعب تحديدها او تقييمها لتعرضها للغموض والذاتية ، فان تقبل النظرية من جانب ذوى الخبرة الأكفاء او الاعتراف بها فى البحوث والدراسات المتخصصة قد تكون دليلا على اهميتها .

## ٢ - الدقة والوضوح ( Preciseness & Clarity ) :

ينبغي ان تكون النظرية مفهومة ، وثابتة فى مضمونها ومكوناتها ، ولا يشوبها لبس او غموض . ويمكن اختبار مدى وضوح النظرية من خلال سهولة ارتباطها بالبيانات المتاحة او بالتطبيق العملى ، او سهولة تكوين الفروض او استخلاص التنبؤات منها وتحديد الوسائل التى تختبر بها هذه التنبؤات .

## ٣ - البسطة او الاقتصاد فى الجهد ( Simplicity or Parsimony ) :

يعتبر الاقتصاد فى الجهد خاصية للنظرية الجيدة منذ سنوات عديدة . وهذا يعنى ان النظرية تتضمن النذر اليسير من التعقيد والقليل من الافتراضات . ويقترح فى هذا الصدد ان للاقتصاد فى الجهد اهميته فقط عند اشباع معايير « الشمول » و « الثبوت » .

## ٤ - الشمول ( Comprehensiveness ) :

ينبغي ان تكون النظرية كاملة ، بحيث تغطى موضوعات الاهتمام وتتضمن كافة البيانات فى مجال التخصص الذى تتناوله .

## ٥ - القابلية للتنفيذ ( Operationality ) :

ينبغي ان تكون النظرية خاضعة للاجراءات التى تنشد اختبار ما تعرضه من مقترحات او تنبؤات ، وعلى ذلك فمن الضرورى ان تكون مفاهيمها دقيقة وواضحة بالدرجة التى تسمح بقياسها . وعلى ذلك فمن المفيد ان يبدأ بتحديد المفهوم وتعريفه ، ثم تحديد طريقة قياسه سواء

كانت سيتم اختيارها من الوسائل المتاحة أم سيجرى اعدادها خصيصا لهذا الغرض . وليس من الضروري ان تكون جميع المفاهيم الخاصة بالنظرية قابلة للتطبيق او التنفيذ ، فقد تستخدم بعض المفاهيم لتوضيح علاقات وتنظيمات فيما بين المفاهيم المختلفة .

### ٦ - الصدق التجريبي او القابلية للتحقيق

( Empirical Validity or Verifiability ) :

تتميز المعايير السابق ذكرها بانها منطقية بطبيعتها وانها لا ترتبط مباشرة بمدى صدق النظرية او صحتها . وعلى اى الحالات ، فانه يجب دعم النظرية من خلال الخبرة والتجريب الذى يعمل على تأييدها واثباتها ، بمعنى انه - بالاضافة الى ثباتها وقدرتها على تاييد ما هو معروف بالفعل ، فمن الضروري ان تاتى لنا بشىء او معرفة جديدة . وعلى اى الحالات ، فان النظرية التى لا تدعمها التجربة قد تؤدى - بطريق غير مباشر - الى معرفة جديدة من خلال اثاره تنمية نظرية قائمة او تطويرها .

### ٧ - الفائدة / الجدوى ( Fruitfulness ) :

ويقصد بها مدى قدرة النظرية على ان تؤدى الى التنبؤ القابل للاختبار ، بما يؤدى بدوره الى تنمية معارف جديدة . وتصبح النظرية مفيدة او ذات جدوى ، حتى اذا لم تؤد الى تنبؤات معينة ، فهى قد تستثير التفكير بما يؤدى الى تنمية افكار جديدة او نظريات ، وحيانا تؤدى الى عدم الثقة فى آراء الآخرين او معارضتهم .

واذا طبقنا هذه المعايير على مجال الارشاد النفسى او العلاج النفسى فقد لا نجد نظرية واحدة نستطيع ان تواجه كل هذه المعايير ، او فى مجال الشخصية او التعليم . فالنظريات القائمة لا زالت فى مرحلة بدائية لم تصل بعد الى الدرجة التى تتطلبها المعايير السابق ذكرها . ومعظم نظريات الارشاد النفسى لا تقدم بطريقة شكلية على الرغم من ان بعضها محاولات للصياغة فى شكل مجموعة من الفروض المترابطة او المتصلة بعضها ببعض الآخر . وفى كثير من الحالات نجد المفاهيم النظرية ضمنية اكثر منها صريحة . وتتراوح التعبيرات الصريحة فى الارشاد النفسى ما بين وجهات نظر معينة تختص بجانب معين فى عملية الارشاد النفسى او علاقات الارشاد ، الى عروض عامة .



## ● أهمية نظريات التوجيه والارشاد النفسى :

يقوم الارشاد النفسى على نظريات علمية ، ويبدأ البحث العلمى من دراسة الظواهر النفسية والفروض ويمر بالدراسات التجريبية التى تعطى نتائج وحقائق وقوانين تلخصها نظرية .. وليس معنى هذا ان النظرية هى نهاية المطاف ، وان العلم ينتهى والبحث العلمى يتوقف بمجرد الوصول الى نظريات . ولكن عند التوصل الى نظرية تبدأ الحلقة من جديد وتخضع النظرية للبحث العلمى المستمر .

ان العلم يتطور ، والنظريات السابقة والحالية ترتبط باسماء علماء معينين توصلوا اليها .. فاننا نعرف « نظرية الذات » لكارل روجرز ، ونظرية « التحليل النفسى » لفرويد ، ونظرية « السلوك او التعلم » لميلر ودولارد .. وهكذا . واننا ندرك ان الاساليب العلمية التى استخدمها هؤلاء تتطور ، وامكانات البحث العلمى تنمو وتتطور وتتغير وتستجد اساليب حديثة تنير الطريق وتوسع مجال الرؤية وتضاعف امكانات البحث والكشف-العلمى .

ولا شك ان المرشد النفسى ينبغى ان يقوم بعمله فى ضوء نظرية نفسية معينة ، والنظرية النفسية اطار عام يضم مجموعة متكاملة من الحقائق والقوانين التى تفسر الظواهر النفسية .

ويهتم الارشاد النفسى بدراسة السلوك وفهمه وتفسيره والتنبؤ به وتعديله ، ومن ثم لابد من دراسة النظريات التى تفسر السلوك وكيفية تعديله . وتفيد دراسة نظريات الارشاد النفسى فى فهم العملية الارشادية وكذا فهم اوجه الشبه والاختلاف بين طرق الارشاد .

وما يهمنا فى دراسة نظريات الارشاد هو ما يتعلق بعملية التوجيه والارشاد نظريا وعمليا ، دون الدخول فى تفاصيل النظريات وتطورها . فالهم هو معرفة خلاصة هذه النظريات واهميتها بالنسبة للتوجيه والارشاد النفسى .

ان اتباع نظرية واحدة والتمسك بها لدرجة التعصب يعتبر نوعا من الجمود فى التفكير غير المرغوب . فاننا لا شك ندرك ان اية نظرية لا تخلو من نقد ، كما لا توجد قوانين عامة للسلوك البشرى تنطبق على جميع الناس بصدق وامانة . والمرشد حين يتعامل مع مشكلات انسانية

معقدة لابد ان يرسى عمله على اساس من نظريات عدة وليس قياما على نظرية واحدة بعينها ، لانه لا وجود لمثل هذه النظرية الواحدة الشاملة بخصوص السلوك البشرى .

وستناقش فيما يلى عددا من النظريات الهامة التى ترتبط ارتباطا مباشرا بطرق الارشاد النفسى ، وسنعرضها حسب تسلسل ظهورها ( ٥ ) . .

\*\*\*

### نظرية السمات

تقول هذه النظرية ان لكل فرد « سمات » ( Traits ) شخصية ثابتة يمكن ان تلاحظ فيه ، كما يمكن ان نفرق بين شخص وآخر او ان نميز بين الأشخاص بعضهم والبعض الآخر على اساس من هذه السمات . ومن ناحية أخرى فان هذه السمات - الى جانب ثباتها - عامة ، بمعنى ان الشخص يمكن وصفه بشكل عام وبدرجة كبيرة من الثبات ، بانه كذا او كذا من السمات المختلفة التى يمكن ان نسندها اليه . ولكى يفسر اصحاب هذه النظرية هذا الثبات وهذه العمومية فى سمات الشخصية ، فقد افترضوا وجود استعدادات معينة عند الفرد ، وهى استعدادات عامة شاملة معقدة ومتداخلة ، اهم ما تتميز به هو الثبات والاستمرار . وتعتبر هذه الاستعدادات عن تهيؤ الفرد للعمل او للسلوك او للتصرف بشكل معين . وتعتبر هذه الاستعدادات - عند اصحاب هذه النظرية - اهم مكونات الشخصية .

واهم من قالوا بهذه النظرية « جوردون البورت Gordon Aliport » ، وقد عرف « السمة » بانها « نظام عصبى مركزى عام ( خاص بالفرد ) يعمل على جعل المثيرات المتعددة متساوية وظيفيا ،

( ٥ ) استعان المؤلف بالراجع الآتية فى تلخيص النظريات :  
( ١ ) محمد عماد الدين اسماعيل ، الشخصية والعلاج النفسى ،

١٩٥٩

( ب ) هول ولندزى ( ترجمة فرج أحمد وآخرين ) ، نظريات الشخصية ، ١٩٧١

( ج ) حامد زهران ، التوجيه والارشاد النفسى ، ١٩٧٧

( د ) B. Wolman (ed.) ; Handbook of Clinical Psychology. ( د )  
( N. Y. McGraw — Hill, 1965 ) , ch. 13 — 15 .

كما يعمل على اصدار وتوجيه اشكال متساوية من السلوك التكيفي والتعبيري» (٦) .

والفكرة البارزة فى هذا التعريف ، والتي تتضمنها نظرية السمات عموما ، هى محاولة تفسير السلوك الظاهرى ، عن طريق افتراض وجود « استعدادات » معينة عند الكائن الحى ، وهذه الاستعدادات هى المسئولة عن سلوكه ، كما انها المسئولة عن الثبات الذى نلاحظه ظاهريا على سلوك الفرد . فنظرية السمات اذن تتضمن فكرتين اساسيتين : الأولى ، هى فكرة وجود استعداد مستقل عن الظروف الخارجة ، مستقل عن ظروف التعلم او البيئة . والثانية ، هى فكرة العمومية او الثبات فى السلوك الفردى ، والفكرتان مرتبطتان ببعضهما اشد الارتباط . وتقسّم السمات بصفة عامة على النحو التالى :

- ١ - سمات مشتركة ( Common, Dominant ) : يتسم بها الأفراد جميعا او على الأقل جميع الأفراد الذين يشتركون فى خبرات اجتماعية معينة .
- ٢ - سمات فريدة ( Unique ) : لا تتوافر الا لدى فرد معين ، ولا توجد على نفس الصورة تماما عند الآخرين .
- ٣ - سمات سطحية ( Surface ) : وهى السمات الواضحة الظاهرة .
- ٤ - سمات مصدرية ( Source ) : وهى السمات الكامنة التى تعتبر أساس السمات السطحية .
- ٥ - سمات مكتسبة ( Acquired ) : تنتج عن فعل العوامل البيئية ، وهى سمات متعلمة .
- ٦ - سمات وراثية ( Native ) : وهى سمات تكوينية تنتج عن العوامل الوراثية ولا تحتاج الى تعليم .
- ٧ - سمات دينامية ( Dynamic ) : وهى تهيبء الفرد وتدفعه نحو الاهداف .
- ٨ - سمات قدرة ( Ability ) : تتعلق بمدى قدرة الفرد على تحقيق الاهداف .



G. Allport; Personality (N. Y. : Holt, 1937.) (٦)

## ● تطبيقات نظرية السمات فى الارشاد النفسى :

تعتبر نظرية السمات أنها الأساس النظرى الذى تقوم عليه طريقة « الارشاد المباشر » ( Directive Counseling ) وأشهر من طبقوا هذه النظرية فى الارشاد النفسى « وليامسون Williamson » رائد طريقة الارشاد المباشر .

ومن الافتراضات الأساسية فى نظرية السمات فيما يتعلق بالارشاد المباشر ما يأتى :

- ١ - ان عملية الارشاد النفسى اساسا عملية عقلية معرفية .
- ٢ - ان سوء التوافق لدى الأشخاص العاديين يترك جزءا كبيرا من العقل قادرا على استخدامه فى التعلم .
- ٣ - ان المرشد مسئول عن تحديد المعلومات المطلوبة وجمعها وتحليلها وتقديمها الى المسترشد ( العميل ) .
- ٤ - ان المرشد لديه معلومات وخبرة وقدرة كافية على تقديم النصح وحل المشكلات بطريقة الارشاد المباشر . ومن ثم ينظر الى المرشد نظرة المعلم الذى يوجه عملية التعلم لدى المسترشد .
- ٥ - تهتم نظرية السمات بالتشخيص النفسى واستخدام طرق الارشاد التى تناسب اختلاف الشخصية من فرد الى آخر . وتهتم كذلك بتحليل العميل وتطبيق المقاييس النفسية التى تعطى تقديرات كمية لسمات الفرد بما يفيد عمليا فى اختياره التربوى والمهنى .
- ٦ - يعتبر البعض ان تقدير سمات الشخصية يحتل مكانا هاما فى عملية الارشاد .



## ● نقد نظرية السمات :

على الرغم من الاسهامات الواضحة لنظرية السمات فى الارشاد النفسى فانه يوجه اليها بعض الانتقادات واهمها :

- ١ - أنه لا يوجد اتفاق عام حول معانى السمات .

٢ - تركيز النظرية على سلوك الشخص ، ولكنها لا تحدد كيف يسلك او لماذا يسلك سلوكا معيناً دون غيره ، ولم توضح الدور الهام الذي تقوم به الدافعية في السلوك .

٣ - لا تمكن النظرية من تقديم وصف كامل للشخصية على كل ابعادها .

٤ - هناك شك في قيمة النظرية بالنسبة لميدان الارشاد النفسى من حيث وحدة الشخصية وتكاملها وضرورة فهمها .

\*\*\*

### نظرية التحليل النفسى

يفترض ( فرويد Freud ) مؤسس مدرسة التحليل النفسى ان الجهاز النفسى يتكون من « الهو ( Id ) » و« الأنا » ( Ego ) و« الأنا الأعلى » ( Super - ego ) « فالهو » عبارة عن منبع الطاقة الحيوية والنفسية ومستودع الغرائز او الدوافع الفطرية التى تسعى الى الاشباع فى اية صورة وبأى ثمن ، وهو الصورة البدائية للشخصية قبل ان يتناولها المجتمع بالتهذيب . « والأنا الأعلى » هو مستودع المثاليات والأخلاقيات والضمير والمعايير الاجتماعية والقيم الدينية ، ويعتبر بمثابة سلطة داخلية او رقيب نفسى . اما « الأنا » فهو مركز الشعور والادراك الحسى الخارجى والداخلى والعمليات العقلية ، والمشرف على الحركة والارادة ، والمتكفل بالدفاع عن الشخصية وتوافقها ، وحل الصراع بين مطالب « الهو » و« الأنا الأعلى » وبين الواقع ، ولذلك فهو محرك منفذ للشخصية ويعمل فى ضوء مبدأ الواقع من أجل حفظ الذات وتحقيقها والتوافق الاجتماعى .

ويرى « فرويد » ان الجهاز النفسى لابد ان يكون متوازناً حتى تسير الحياة سيرا سوياً ، ولذلك يحاول « الأنا » حل الصراع بعد « الهو » و« الأنا الأعلى » ، فاذا نجح كان الشخص سوياً ، واذا اخفق ظهرت اعراض « العصاب » ( Neurosis ) .

وفيما بعد اسهم « الفرويديون المحدثون » ( Neo - Freudians ) بآراء جديدة تتلخص فى الآتى :

١ - اضاف « يونج Jung » اهمية « الذات » ( Self ) كجهاز مركزى للشخصية يضى عليها وحدتها وثباتها وتوازنها ، وانها تحرك السلوك وتنظمه . واهتم يونج بمفهوم «الشخصية المقنعة» ( Persona ) التى هى بمثابة قناع يلبسه الشخص للتوافق مع البيئة الاجتماعية . واهتم كذلك بدراسة الأنماط النفسية وهى : النمط الانبساطى ، والنمط الانطوائى ، وفروعهما التفكيرى والوجدانى والحسى والالهامى .

٢ - تحدث « آدلر Adler » عن « مفهوم الذات » ومفهوم الآخرين و « الذات المبتكرة » ( Creative Self ) وهى العنصر الدينامى النشط فى حياة الشخص ، وتبحث عن الخبرات التى تنتهى بتحديد اسلوب حياة الشخص .

٣ - وقدمت « هورنى Horney » مفهوم « الذات الدينامى » ، وتعتقد ان الشخص يناضل فى الحياة من اجل تحقيق ذاته . وتحدثت عن الذات المثالية ، والذات الواقعية ، وترى ان العصاب ينشا عن بعد الشخص عن ذاته الحقيقية والسعى وراء صورة مثالية غير واقعية .

٤ - وتحدث « رانك Rank » عن « نمو الذات » من الطفولة وجهود الفرد الدائمة من اجل تحقيق ذاته وتاكيدها وتقبلها . ويرى ان تطور الفرد يمر بثلاث مراحل هى : الشخص العادى ، ثم العصابى ، ثم المتوافق .

٥ - ويعتقد « سوليفان Sullivan » ان « جهاز الذات » ينمو بطريقة يحفظ نفسه ضد القلق الذى يعتبر نتاجا للتفاعل الاجتماعى . ويعتبر ان « دينامية الذات » تلعب دورا هاما فى تنظيم السلوك وفى تحقيق الحاجة الى التقبل .

٦ - ويرى « فروم Fromm » ان الشخصية هى مجموعة السمات النفسية والجسدية الموروثة والمكتسبة التى تميز الفرد وتجعل منه شخصا فريدا . ويؤكد دور الأسرة فى اكساب للشخص « الخلق الاجتماعى » مع احتفاظه بما سماه « الخلق الفردى » .

\*\*\*

## ● تطبيقات نظرية التحليل النفسى فى التوجيه والارشاد النفسى :

يعتبر التحليل النفسى نظرية نفسية عن ديناميات الطبيعة البشرية . وعن بناء الشخصية ، ومنهج بحث لدراسة السلوك البشرى ، وهو ايضا طريقة علاج ..

و « المرض » - فى رأى « فرويد » من اهم اسباب الصراع بين الغرائز والمجتمع . وتقرر « هورنى » ان الصراع لا يقتصر تفسيره على الناحية الغريزية فقط ولكنه يرتبط بالحاجة الى الأمن كذلك ، وينشأ « الصراع الاساسى » - فى رأيها - بسبب تعارض رغبات الفرد واتجاهاته ، وكذلك تعتقد بوجود « صراع داخلى مركزى بين الذات الحقيقية والذات العصابية » .

و « العصاب Neurosis » - فى رأى « فرويد » - يرجع الى عوامل حيوية ، والقلق لب العصاب ومحوره ، ويرى انه لا يوجد عصاب نفسى بدون استعداد عصابى منذ الطفولة . ويرى « يونج » ان العصاب محاولة غير ناضجة مع الواقع ، ويرجع الى الذكريات المكبوتة فى اللاشعور والى مشكلات الفرد التى لم تحل بعد . ويعتقد « آدلر » ان العصاب ينشأ عن خطأ الفرد فى ادراكه ببئته وتفسيرها وصعوبة اتخاذ اسلوب حياة مناسب والخوف من الاحباط والفشل فى تحقيق اهداف الحياة . وتقرر « هورنى » ان القلق هو اساس العصاب ، وان هناك ثلاثة اتجاهات عصابية : الاتجاه الأول يتميز بالتحرك نحو الناس ، والثانى يتميز بالتحرك بعيدا عن الناس ، والثالث يتميز بالتمركز حول الذات . ويعتقد « رانك » ان العصابى هو ذلك الشخص الذى لا ينجح فى التغلب على « صدمة الميلاد » ( Birth Trauma ) التى تصيب الفرد عند الولادة حيث يعتبر وكأنه انفصال عن السعادة الاساسية التى كان فيها وهو فى رحم امه ، وتكمن هنا « باكورة القلق » ، ويحاول الفرد التغلب على صدمة الميلاد ، واذا فشل أصبح عصابيا .

ويرى « فروم » ان العصاب هو احد مظاهر الفشل الاخلاقى ، وان العرض العصابى يكون فى كثير من الحالات تعبيرا عن نزاع اخلاقى . وتمثل الاعراض العصابية - غالبا - تعبيرات عن مشاكل الانسان الحديث الذى يعيش فى عصر القلق . وعلى العموم فان العصاب هو اكثر الامراض النفسية قابلية للعلاج من خلال التحليل النفسى .

و «الذهان Psychosis» - فى رأى فرويد - صورة خطيرة لاضراب السلوك تظهر تغير مرضية فى ادراك الواقع والسيطرة على الذات . ويرجع « أدلر » الذهان - سواء اكان فصاما أو ذهان للهوس والاكتئاب - الى خليط من اسباب نفسية وجسمية .

اما عن « خطوات التحليل النفسى » ( Psychoanalysis ) - التى

تدخل ضمن الخطوات العامة فى عملية الارشاد النفسى - فمن أهمها « العلاقة العلاجية » الدينامية بين العميل والمرشد المعالج التى يسودها التقبل والتفاعل الاجتماعى السليم ، و « التطهير أو التفريغ الانفعالى » ( Catharsis ) للأشياء المكبوتة سواء اكانت أحداث أو خبرات أو دوافع أو صراعات بمصاحباتها الانفعالية بما يؤدى الى اختفاء اعراض العصاب . و « التداعى الحر » أو « الترابط الطليق » ( Free Association ) للكشف عن الأشياء المكبوتة فى اللاشعور عن طريق اطلاق العنان بحرية للأفكار والخواطر والاتجاهات والصراعات والرغبات والاحساسات ، مع الاستفادة من فلتات أو زلات اللسان وتفسير ما يكشف عنه التداعى الحر . ويتضمن التفسير ايضاح ما ليس واضحا والشرح بأسلوب منطقى صحيح وبلغة علمية يفهما العميل . ويعتبر التعليم وبناء العادات تدريجيا وتوجيه العميل خطوة هامة ، وهكذا نجد ان التحليل النفسى والارشاد النفسى يشتركان فى هذه الخطوات .

وبالاضافة الى ذلك ، يهتم كل من التحليل النفسى والارشاد النفسى باعادة التوازن بين اركان الشخصية ، وحل الصراعات ، واعادة غرس القيم والمبادئ ، ومعرفة هدف العميل فى الحياة وتنمية مفهوم ايجابى عن الذات لديه ، والتقليل من حدة القلق ، وتكوين الارادة الايجابية ، وتغيير الوسط الاجتماعى .

يتضح مما سبق انه طرا على نظرية التحليل النفسى الكلاسيكى - كما وضعها فرويد - بعض التعديلات التى اجراها « الفرويديون المحدثون » ( Neo - Freudians ) ، والتى تناسب الارشاد النفسى .

وقد ركز هؤلاء على تقصير مدة العلاج النفسى . ومن اهم التعديلات فى نظرية التحليل النفسى ما يسمى « التحليل النفسى التوزيعى » ( Distributive Psychoanalysis ) الذى اتى به « أدولف ماير Meyer » وهو يتضمن الفحص والتحليل الموجه لخبرات العميل مع التركيز على

امكانيته ومساعدته على اتخاذ قرارات عملية تختص بمستقبله . ومن هذه التعديلات أيضا « العلاج التدميمي / المساند » ( Supportive Therapy ) الذى يتعامل مع الجزء السوى من الشخصية وينميه ويدعمه ويعزز دفاعات العميل السوية ، ويستخدم أساليب مثل الإيحاء والحث والتعزيز ، ولا يتتبع صراعات العميل بعمق ، ويستخدم هذا الأسلوب عادة مع العملاء الذين يعانون الحساسية النفسية ولا تتطب حالاتهم التحليل النفسى العميق . ومن التعديلات التى ظهرت فى شكل التحليل النفسى المختصر ما جاءت به « هورنى » التى تتغاضى عن ماضى العميل وتركز على دراسة الاضطراب النفسى فى وضعه الحاضر . ومنها أيضا ما جاء به « الكسندر Alexander » الذى يركز على تهيئة جو آمن مرن يستطيع العميل من خلاله تعديل عاداته السلوكية المرضية بسرعة . ويلاحظ ان استخدام اية صورة معدلة من التحليل النفسى فى مجال الارشاد النفسى يجب ان تقتصر ممارستها على المرشد العلاجى / الاكلىنيكى المتخصص .

ويكاد يكون المجال الرئيسى للارشاد النفسى الذى يطبق فيه التحليل النفسى هو « الارشاد العلاجى » ( Clinical Counseling ) .

\* \* \*

### ● نقد نظرية التحليل النفسى :

التحليل النفسى - كنظرية وكطريقة علاج - له مزايا عديدة اهمها : الاهتمام بعلاج اسباب المشكلات والاضطرابات، وتناول الجوانب اللاشعورية الى جانب الشعورية فى الحياة النفسية للعميل ، وتحريز العميل من دوافعه المكبوتة واعلاؤها واستثمار طاقاتها ، والاهتمام بالسنوات الأولى من حياة العميل ، والاهتمام باثر البيئة الثقافية والاجتماعية للفرد فى نموه وسلوكه ، والعودة بالشخصية المضطربة الى حالة من التكامل والنضج ومواجهة الواقع والاستمتاع بالحياة .

ورغم هذا فقد لاقى الاتجاه التحليلى بصفة خاصة فى مجال الارشاد النفسى معارضة ونقدا شديدين على اساس ما يلى :

- ١ - ان التحليل النفسى يهتم اساسا بالمرضى والمضطربين نفسيا اكثر من اهتمامه بالأصحاء والأسوياء .
- ٢ - انه عملية طويلة شاقة ومكلفة فى الوقت والجهد والمال ، ويحتاج الى خبرة واسعة وتدريب مكثف قد لا يتوفر الا لعدد قليل من الأخصائيين .

- ٣ - ان بعض المشتغلين بالارشاد والعلاج النفسى يرون - فى تعصب - ان التحليل النفسى هو الطريقة المثلى وأنه يعلو على كل الطرق الأخرى .
- ٤ - ان بعض المشتغلين بالارشاد والعلاج النفسى يحملون اتجاهها سالبا نحو التحليل النفسى ويسقطونه من حسابهم ويبررون ذلك بأسباب كثيرة ونقد موجه الى شخص فرويد .

\* \* \*

## نظرية المجال

ترتبط نظرية المجال فى علم النفس باسم « كيرت ليفين Lewin » وقد تآثر فى نظريته « بعلم نفس الجشطالت ( Gestalt Psychology ) التى نادى بها « فرتيمر Wertheimer » و « كوهلر Kohler » و « كوفكا Koffka » . والفكرة الأساسية فى « علم نفس الجشطالت » هى ان ادراك موضوع ما يحدده المجال الادراكى الكلى الذى يوجد فيه ، وان الكل ليس مجرد مجموع الأجزاء ، وان الجزء يتحدد بطبيعة الكل ، وان الأجزاء تتكامل فى وحدات كلية .

وتؤكد « نظرية المجال » التى نادى بها « ليفين » ان السلوك هو وظيفة المجال الذى يوجد فى وقت حدوث السلوك ونتيجة لقوى دينامية محركة . ويبدأ التحليل بالموقف ككل ، ومن الموقف الكلى تتمايز الأجزاء المكونة . ويؤكد ليفين اهمية قوى المجال الدينامية التى تسهم فى تحديد السلوك . ويعرف المجال بأنه نتاج الوقائع الموجودة معا والتى تدرك على أنها تعتمد بعضها على البعض الآخر .

### ● المفاهيم الأساسية لنظرية المجال :

يرسم « ليفين » خريطة عقلية معرفية توضح نظرية المجال ومفاهيمها الأساسية . وفيما يلى أهم مفاهيم نظرية المجال :

- ١ - **الشخص** : هو كيان محدود داخل المجال الخارجى الأكبر منه . والشخص له خاصيتان هما « الفصل » عن المجال و « الوصل » مع المجال . وبمعنى آخر « التفاضل او التمايز » و « التكامل » ، أى ان الشخص يكون منفصلا عن المجال الكلى الأكبر ، ومندمجا فى نفس الوقت داخل هذا المجال الكلى ، وهذا هو واقع الشخص . ويذهب « ليفين » الى ان بناء

الشخص هو بناء متفاضل متمايز أى ينقسم الى أجزاء منفصلة وملتصدة فى نفس الوقت .

٢ - **المجال النفسى** : يوجد الشخص فى مجال نفسى او بيئة نفسية خارج حدوده . ويحدث تفاعل بين الشخص ومجاله النفسى ، وهما - أى الشخص ومجاله النفسى - يعتمدان بعضهما على البعض الآخر داخل « حيز الحياة » ( Life Space ) .

٣ - **حيز الحياة** : هو المجال النفسى الكلى الذى يحتوى على مجموع الوقائع الممكنة التى تحدد سلوك الفرد فى وقت محدد مثل حاجاته وخبراته وامكانيات سلوكه كما يدركه ، أى ان السلوك هو وظيفة حيز الحياة . ويحيط بحيز الحياة « غلاف غريب » لا حدود له ، به وقائع غير نفسية تؤثر فى البيئة النفسية فى حيز الحياة فتؤثر بدورها فى الشخص ، وقد اطلق عليه « ليفين » اسم « العالم المادى » . وفى نفس الوقت فان المجال النفسى به وقائع تؤثر فى العالم المادى ، أى ان الحدود الفاصلة بين حيز الحياة والعالم الخارجى تنسم بخاصية « النفاذية » . فقد تغير واقعة من وقائع العالم المادى مسار الأحداث فى حيز الحياة وفى المجال النفسى للشخص ، واننا نجد ذلك فى الحياة اليومية . . . فقد يؤدى لقاء عارض او حديث هاتفى غير متوقع او حادث مفاجىء الى تغيير حياة الشخص .

٤ - **المجال الموضوعى** : او « البيئة الموضوعية » يضم كل الامكانيات التى تخرج من المجال السلوكى للشخص والتى ليست فى حيز الحياة . وهذا المجال الموضوعى رغم انه ليس جزءا من حيز الحياة فانه يؤثر على الفرد . . . مثال ذلك نظام التعليم فى الدولة الذى يخرج من حيز حياة التلميذ ولكنه يؤثر عليه لأنه يحدد نوع التعليم الذى يتلقاه فى المدرسة .

٥ - **المناطق** : ينقسم المجال الكلى الى مناطق ، وتحتوى كل منطقة على وقائع او حقائق ( Facts ) والذى يحدد عدد المناطق هو عدد الوقائع النفسية المنفصلة التى توجد فى أى وقت معين . . . فقد يكون هناك منطقتان رئيسيتان فقط فى حيز الحياة . واذا احتوى المجال على واقعتين هما واقعة العمل وواقعة اللعب تنقسم منطقة المجال الى واقعتين فرعيتين واحدة للعمل واخرى للعب . واذا كان هناك انواع مختلفة من وقائع العمل مثل واقعة العمل الحكومى وواقعة العمل الحر تنقسم منطقة العمل

الى منطقتين جزئيتين ، وهكذا بالنسبة للعب . وبالنسبة للشخص قد يحتوى على واقعتين هما واقعة التوتر وواقعة الفزع ، فتنقسم منطقة الشخص الرئيسية الى منطقتين فرعيتين واحدة للتوتر وواحدة للفزع ، وهكذا يتحدد عدد المناطق فى الشخص بعدد الوقائع الشخصية الموجودة فعلا . وتسمى الوقائع الأساسية للمنطقة الشخصية الداخلية باسم « الحاجات » .

٦ - **الاتصال بين المناطق :** هناك حدود بين المناطق من خصائصها « النفاذية » وتبادل الاتصال . وتتصل المناطق عن طريق الاتصال بين الوقائع الواقعة فى كل منهما بالأخرى ، ويحدث بينهما تفاعل وتأثير متبادل ينتج عنه « حدث Event » . فالكتاب واقعة والشخص واقعة ، بينما قراءة الشخص فى الكتاب حدث . ويتوقف مدى اتصال المناطق على عاملين هما عامل « القرب - البعد » وعامل « المرونة - الجمود » . ومعنى ذلك أن الحدود بين المناطق قد تكون قابلة للنفاذية بدرجة كبيرة ، وقد تكون جامدة مقاومة للنفاذية . ويتأثر مدى الاتصال - وبالتالي التأثير المتبادل - بين حيز الحياة والعالم الخارجى بصلابة أو ضعف الحدود الفاصلة بينهما . . فاذا كانت الحدود صعبة النفاذية كان الاتصال والتأثير المتبادل صعبا وضئيلا ، ويكون الشخص متقوقعا ومنعزلا داخل مجاله النفسى واتصاله بالواقع المادى ضئيل - كما فى حالة الفصام . واذا كانت الحدود سهلة النفاذية كان الاتصال والتأثير المتبادل سهلا ووثيقا . ويلاحظ أن نظام الاتصال بين المناطق يمثل مواقف مؤقتة متغيرة دائما ، فمن الممكن أن يضعف حد صلب ويتصلب حد ضعيف ، كما يمكن أن يتحول وسط مرن الى وسط جامد وبالعكس . وعلى ذلك فإن الواقع النفسى يتغير دائما . . ومن ثم فإن « ليفين » لا يثق فى السمات الثابتة أو العادات الجامدة فى الشخصية .

٧ - **الحركة والاتصال :** من الخواص الهامة للمجال النفسى أنه يحدث بداخله حركة واتصال دائما من وإلى وبين المناطق المختلفة . وتحدث الحركة والاتصال كنتاج للتفاعل بين الوقائع ، وقد أطلق « ليفين » على هذا اسم « مبدأ الارتباط » .

٨ - **اعادة بناء حيز الحياة :** عن طريق الحركة والاتصال ونتيجة للتفاعل بين الوقائع يتغير بناء حيز الحياة . وفى حيز الحياة قد يتزايد عدد المناطق أو يتناقص حسب زيادة الوقائع أو نقصانها ، وقد يتغير وضع

المناطق بالنسبة لبعضها البعض . . فقد تقترب منطقتان كانتا بعيدتين بعضهما عن البعض الآخر أو العكس ، وقد يتغير حد مرن الى جامد أو العكس . . وهكذا يمكن استغلال هذه التغيرات المحتملة فى اعادة بناء حيز الحياة .

٩ - **الواقع** : تحدث « ليفين » عن الواقعية واللاواقعية . . فالواقعية تتضمن حركة فعلية ، واللاواقعية تتضمن حركة تخيلية . . فمثلا يستطيع الشخص ان يحل مشكلة حلا واقعيا ، او يحلها حلا لا واقعيا فى حلم يقظة .

١٠ - **الزمن** : يذكر « ليفين » ان السلوك لا يتأثر بالماضى ، ويقرر ان الوقائع الحاضرة وحدها هى التى تستطيع ان تحدث سلوكا حاضرا ، اما الوقائع الماضية فلا تؤثر فى الحاضر . فوقائع الطفولة لا تؤثر على سلوك الرائد ما لم يظل وجودها مؤثرا طوال مرحلة النمو من الطفولة الى الرشد . وعلى ذلك فان اتجاهات الشخص ومشاعره وافكاره الباقية عن الماضى والحاضر وآمال المستقبل قد يكون لها تأثير على سلوكه الحاضر ، ولذا فانه يجب تمثيل الحاضر بوصفه محتويا على الماضى والمستقبل النفسى .

١١ - **ديناميات الشخصية** : يشبه « ليفين » بناء حيز الحياة بالخريطة الجغرافية ، باعتبار ان الخريطة الجغرافية الجيدة تحتوى على جميع المعلومات التى يحتاج اليها الشخص لتدله على الطريق الصحيح . كذلك فان البناء الجيد لحيز الحياة - اى الشخص ومجاله - لابد ان يحتوى على الوقائع اللازمة لتفسير السلوك المحتمل للشخص . ولكن كما ان الخريطة لا تحدد اى طريق سيسلكه الشخص ، كذلك فان بناء - الحياة لا يحدد كيف سيسلك الشخص بالفعل . ويحدد « ليفين » خمسة مفاهيم اساسية فى دينامية الشخصية :

( ا ) **الطاقة** : يفترض « ليفين » ان الشخص نظام مغمد من الطاقة ، والطاقة التى تقوم بالأعمال النفسية هى « الطاقة النفسية » . وهى تنطلق عندما يحاول الجهاز النفسى - اى الشخص - العودة الى التوازن بعد ان طرا عليه حالة انعدام التوازن الناجم عن التوتر فى جزء من اجزاء الجهاز النفسى ، سواء اكان ذلك نتيجة مثير خارجى او تغير داخلى . وعندما يزول التوتر ويتم التوازن داخل الجهاز النفسى يتوقف توليد الطاقة وتسود الراحة النفسية .

( ب ) **التوتر** : هو حالة يكون عليها الشخص نتيجة نقص التوازن .  
ومن خواص التوتر ان حالة التوتر فى منطقة معينة تتجه الى العبور الى المناطق المجاورة حتى تحدث حالة من تساوى التوتر داخل النظام الكلى .  
ومن خواصه ايضا انه اذا كانت الحدود ضعيفة بين المناطق فان التوتر ينتقل بسهولة وسرعة من منطقة الى باقى المناطق ، وعلى العكس من ذلك اذا كانت الحدود صلبة بين المناطق .

( ج ) **الحاجة** : يسبب ازدياد التوتر فى منطقة شخصية استثارة الحاجة التى تكون فسيولوجية بطبيعتها - كالجنس - او نفسية - كتأكيد الذات . ويؤكد « ليفين » ان حاجات الشخص تحددتها العوامل الاجتماعية .  
ويلاحظ ان مفهوم الحاجة يربط بين جميع المفاهيم الدينامية الأخرى ،  
فالحاجة تطلق القوة وتزيد التوتر وتعطى القيمة .

( د ) **القيمة** : يقصد بها قيمة منطقة فى المجال النفسى ، والقيمة ايجابية وسلبية ، وتحديد القيمة امر ذاتى من وجهة نظر الشخص نفسه .  
والمنطقة التى يضى عليها الشخص قيمة ايجابية هى التى تحتوى على طعام بالنسبة للشخص الجائع ولها جاذبية خاصة . اما السلبية فهى التى تحتوى على موضوع يزيد التوتر ويهدد بالأذى .

( هـ ) **القوة الموجهة ( Vector )** : يحدث التحرك عندما تؤثر قوة موجهة على الشخص ، وتتسق القوة مع الحاجة . وترسل القوة الموجهة دائما خارج الشخص وليس بداخله ، حيث ان القوى النفسية من خصائص المجال وليست من خصائص الشخص .  
واذا كانت هناك قوة موجهة واحدة تؤثر على الشخص كانت هناك حركة واحدة فى وجهة هذه القوة ، اما اذا وجدت اكثر من قوة فان الحركة تكون محصلة هذه القوى مجتمعة .

١٢ - **التحرك** : يتحرك الشخص خلال مجاله النفسى مدفوعا بحاجة تطلق الطاقة وتستثير التوتر وتضى قيمة ايجابية على المنطقة التى فيها ما يشبع هذه الحاجة ، فيتحرك الشخص نحو منطقة اشباع الحاجة .  
وقد تكون الحدود بين المناطق سهلة العبور فيتحقق الاشباع ويزول التوتر ، وقد تكون الحدود صعبة العبور وتحول دون الاشباع ، فيحاول الشخص اتخاذ ممرات جانبية للحركة نحو الهدف وهو اشباع الحاجة . .  
فمثلا تكون لدى الشخص الجائع حاجة الى الطعام ويكون الهدف هو اشباع هذه الحاجة بالحصول على وجبة غداء . وهذه الحاجة تطلق

الطاقة وتستثير التوتر فى منطقة شخصية داخلية هى الجهاز العصبى ، وتضفى قيمة ايجابية على المنطقة الموجود بها الطعام ، وتوجد قوة تدفع الشخص وتوجهه وتحركه نحو الطعام . وقد يكون التحرك مباشرا وسهلا نحو الهدف ، كما قد يكون صعبا ومعوقا فيحاول الشخص اتخاذ ممر جانبى للتحرك نحو الهدف . وهكذا يمكن تفسير « التحرك » فى ضوء مفاهيم الحاجة والتوتر والقيمة والقوة .

**١٣ - فقد التوازن :** هو حالة عدم تساوى التوتر داخل المناطق المختلفة للشخص ، وارتفاع التوتر فى النظام كله ، وتزايد الضغط الواقع على الحدود الفاصلة بين المنطقة الشخصية - الداخلية ، والمنطقة الادراكية - الحركية . واذا تكرر حدوث ذلك تراكم التوتر الداخلى واشتد بما يحدث اندفاعا مفاجئا للطاقة فى المنطقة الادراكية - الحركية يؤدى الى احداث سلوك هياجى .

**١٤ - العودة الى التوازن :** ان الهدف النهائى لجميع العمليات النفسية هو اعادة الشخص الى حالة التوازن ، وهناك عدة طرق لذلك منها :

● قيام الشخص بتحريك مناسب فى المجال النفسى يؤدى الى منطقة اشباع الحاجة وتحقيق الهدف .

● قيام الشخص بتحريك بديل يؤدى الى خفض التوتر والعودة الى التوازن . ويتحقق هذا فى حالة وجود تنسيق كامل وتبادل وثيق بين حاجتين بحيث يؤدى اشباع احدها الى ازالة التوتر المصاحب للحاجة الأخرى .

● قيام الشخص بتحريك خيالى يؤدى الى خفض التوتر ، وهذا ما يحدث فى احلام اليقظة .

**١٥ - نمو الشخصية :** تناول « ليفين » بعض التغيرات السلوكية التى تحدث خلال النمو ، ويقول ان هذه التغيرات تنتج عن التنوع فى أنشطة الشخص وانفعالاته وحاجاته وعلاقاته الاجتماعية التى تتزايد مع نموه .

- فمع النمو يتزايد تنظيم نشاطات الشخص وفى نفس الوقت يتزايد التعقيد الذى يطرا عليه ، وتمتد مناطق النشاط مع النمو فيستطيع الشخص القيام بسلوك جديد لم يكن ممكنا من قبل .

- ومع النمو أيضا يزداد الاعتماد المتبادل للسلوك بمعنى حدوث تكامل بين الأفعال المستقلة في شكل سلوك كلى . وتزداد درجة الواقعية واتجاه الشخص نحو الواقع والحقيقة . ويزداد التفاضل أو التمايز في جميع جوانب المجال النفسى مع النمو . ويزداد التفاضل أو التمايز بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وبين الواقع واللاواقع ، وبين الحقيقة والخيال ، وبين الامكان والاحتمال .

- ومع النمو يتزايد عدد الحدود الفاصلة بين المناطق وتختلف من حيث القوة ، وتصبح الحدود بين الشخص ومجاله النفسى اقوى من ذى قبل ، كما يقل تأثير المجال على الشخص عن ذى قبل .  
- ومع النمو يزداد التكامل فى السلوك .

ويرى «ليفين» ان النمو عملية مستمرة يصعب تقسيمها الى مراحل منفصلة ، وان هناك تغيرات تطويرية هامة تحدث فى حوالى سن الثالثة ، وان فترة من الانسقرار النسبى تعقبها حتى المراهقة التى تعتبر مرحلة اعادة التنظيم الدينامى ، ويتم النضج والاستقرار فى الرشد .

ويشير ليفين الى ان « النكوص » ( Regression ) قد يحدث فى النمو ، ويعنى بذلك تغير السلوك الى شكل اكثر بدائية بصرف النظر عما اذا كان الشخص نفسه قد مارس هذا السلوك فيما مضى . ويشير ايضا الى ان « الارتداد » ( Retrogression ) قد يحدث فى النمو ، ويعنى العودة الى شكل مبكر من اشكال السلوك فى تاريخ حياة الشخص . ويقول « ليفين » ان « الاحباط » هو احد العوامل الهامة التى تؤدى الى النكوص والارتداد .

\*\*\*

### ● تطبيق نظرية المجال فى الارشاد النفسى :

لم يتعرض « ليفين » مباشرة فى كتاباته لتطبيق نظريته فى الارشاد النفسى ، ولكنه طبق مفاهيم نظريته على دراسة السلوك فى الطفولة والمراهقة ، وديناميات الجماعة ، وحل الصراع الاجتماعى ، ومشكلات جماعات الاقليات ، واعادة التعلم . وهذا يرتبط بالارشاد النفسى بطريق غير مباشر .

وقد حاول علماء « مدرسة الجشطالت » تطبيق نظرية المجال فى ميدان الارشاد النفسى ، ومن اهم تطبيقات نظرية المجال فى الارشاد النفسى ما يأتى :

١ - عند الاستقصاء عن اسباب الاضطرابات والمشكلات النفسية يوجه الاهتمام الى امور هامة مثل :

- شخصية العميل وخصائصها المرتبطة بالاضطراب والمسببة له .
- خصائص حيز الحياة الخاص بالعميل وقت حدوث الاضطراب .
- اسباب اضطرابه نفسيا - من النواحي الشخصية والاجتماعية - والعوائق المادية والحواجز النفسية التى تحول دون تحقيق اهدافه ، والصراعات وما قد يصاحبها من اقدام وهجوم او احجام وتقنقر .

٢ - ينظر الى اعراض الاضطراب النفسى فى مجال له عدة مكونات منها :

- مجال الفرد عند بدء ردود الفعل للاضطراب .
  - مجال البيئة المادى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى .
  - مجال المرشد النفسى او المعالج النفسى وتأثيره .
  - مجال نظرية الارشاد نظريا وعمليا .
- ٣ - فى « عملية الارشاد والعلاج » تؤكد نظرية المجال ما يلى :

- اهمية تغيير الادراك ، لأن طبيعة ما يدركه الشخص تتقرر بحالة مجاله الادراكى ، ولأن سلوكه الشخصى هو وظيفة لحالة مجاله الادراكى اثناء لحظة الادراك . والادراك يتاثر بعامل الوقت ، اذ يجب ان يكون التعرض للموقف كافيا حتى يسمح للحواس بالقيام بوظيفتها بكفاءة . وتأثر قيم الشخص واهدافه على ادراكه ، وهو يدرك عادة ما يرغب فى ادراكه . ويؤثر ادراك التهديد او الشعور به على مدى الادراك ونوعه ، اذ يؤدي التهديد الى تضيق مجال الادراك ويدفع الشخص الى الاحتفاظ بتكامل تنظيم شخصيته بالالتجاء الى حيل الدفاع النفسى المختلفة . وهكذا تحتاج عملية الارشاد النفسى الى تغيير او تعديل الادراك .

- اهمية مساعدة العميل على جعل العوائق الموجودة فى شخصيته اكثر مرونة وقل جمودا مما هى عليه ، ومساعدته فى وضع اهداف ومستويات طموح واقعية حتى لا يتعرض للاحباط ، ومساعدته فى توسيع

مجال حياته حتى تتوافر لديه المرونة ، ومساعدته على التقليل من جمود العوائق التي تحول بينه وبين تحقيق اهدافه .

- أهمية تغيير مفاهيم الفرد واتجاهاته ، وهذا يتطلب تغييرا فى ثقافته وقيمه ، كما يستلزم تهيئة جو يتيح فيه حرية الاختيار مما يساعد على تحقيق الهدف .

- أهمية التغيير التدريجى - خطوة . . خطوة - فى اعادة التعليم .

- أهمية « الاستبصار » ( Insight ) فى التعلم ، وفيه يؤدي البحث عن حل المشكلة الى اعادة تكوين المجال واعادة تنظيم المعلومات مما يؤدي الى حل يبدو وكأنه يأتى فجأة دون توقع . ويتم التوصل الى الاستبصار فى الارشاد والعلاج النفسى بمساعدة المرشد للعميل على استرجاع خبراته الماضية وتنظيم خبراته الحاضرة وتعديل مجاله الادراكى حتى يتم التوصل الى الحل التلقائى المفاجئ ، الذى يتغرق بعض الوقت .

\*\*\*

### ● نقد نظرية المجال :

قدمت نظرية المجال العديد من المفاهيم الهامة التى افادت فى ميدان الارشاد النفسى . . فقد تزايد الانتباه الى اهمية المجال النفسى للشخص ، والى تأثير العوامل غير النفسية فى حيز الحياة . ونظرية المجال نظرية شاملة متعددة الأبعاد تتناول شبكة من المتغيرات المتفاعلة ، وقد ساعدت على جعل الاطار المرجعى الذاتى للشخص يحظى بالاحترام العلمى ، كما رفعت الانسان الى مرتبة الانسانية بوصفه مجالا معقدا من الطاقة تحركه قوى نفسية ولديه حاجات وله اهداف وآمال ومطامح وله القدرة على الاختيار والابتكار . وكذلك ادت نظرية المجال الى اجراء البحوث فى السلوك الانسانى كما يعبر عنه فى مجال نفسى اجتماعى . وهذا ما جعل نظرية المجال تحظى بمنزلة مرموقة فى علم النفس المعاصر .

ورغم هذا يوجه الى نظرية المجال انتقادات اهمها :

١ - استخدام تصورات معقدة لمواقف نفسية بسيطة .

٢ - عدم وضع قوانين محددة تلخص النظرية .

٢ - عدم امكان التنبؤ بالسلوك فى ضوء النظرية .

٤ - اهمال التاريخ الماضى للفرد على اساس ان السلوك يعتمد على الحاضر اكثر من اعتماده على الماضى أو المستقبل ، رغم ان التفسير المتكامل للسلوك الراهن والتنبؤ بالسلوك فى المستقبل يتطلب اطارا مرجعيا تاريخيا .

٥ - اساءة استخدام المفاهيم الطبيعية والرياضية مثل : مفهوم القوة الموجهة والقيمة والتوتر وغيرها ، وعدم صياغتها صياغة نفسية كاملة ، مما جعل البعض يفهمونها بمضمونها الطبيعى والرياضى .

\*\*\*

### النظرية السلوكية

( نظرية المثير والاستجابة / نظرية التعلم )

لقد وجد نقد التى نظرية السمات بأنها تعتبر السمة تكوينا ثابتا يتصف بالدوام والاستقرار ، فالشخص الذى نصفه بالخجل مثلا يتصف بهذه الصفة باستمرار . فالسمات فى راي هذه النظرية استعدادات او صفات ثابتة يتسم بها سلوك الفرد فى كل المواقف والظروف .

ولقد عارض هذا الراي اصحاب النظرية السلوكية وقالوا بان الشخصية ليس لها « بناء ثابت دائم » ، وان « السمات » ما هى الا صفات سلوكية موقفية ، اى ترتكز الى المواقف التى تعرض للفرد ، وليس على استعدادات ثابتة لديه . فليست هناك اذن سمات عامة اطلاقا ، بل كل ما هنالك هو مجموعة من العادات النوعية هى عبارة عن روابط خاصة بين مثيرات معينة من ناحية ، واستجابات متعلقة بها من ناحية اخرى . فاذا سلك شخص مثلا بشكل عدوانى فى موقف او مواقف معينة فنستنتج من هذا انه سوف يسلك على هذا النحو فى المواقف المشابهة ، ويقدر ما يكون هناك من تشابه بين المواقف المختلفة بقدر ما يكون هناك من احتمال ظهور السلوك على نفس النمط .

\*\*\*

## ● المفاهيم الأساسية للنظرية السلوكية :

تقوم النظرية السلوكية على مفاهيم ومبادئ وقوانين تتعلق بالسلوك وبعملية التعلم وحل المشكلات ، استخلصت من دراسات وبحوث تجريبية قام بها أصحاب هذه النظرية وروادها ، وفيما يلي أهم هذه المفاهيم :

١ - معظم سلوك الانسان متعلم : من المبادئ الأساسية التي تركز عليها النظرية السلوكية أن معظم سلوك الانسان متعلم ، وأن الفرد يتعلم كلا من السلوك السوى وغير السوى ، ويتضمن ذلك أن السلوك المتعلم يمكن تعديله .

٢ - المثير والاستجابة ( Stimulus / Response ) : تقول النظرية أن كل سلوك ( استجابة ) له مثير ، وإذا كانت العلاقة بين المثير والاستجابة سليمة كان السلوك سويا ، أما إذا كانت العلاقة بينهما مضطربة كان السلوك غير سوى . وعلى ذلك ففى الارشاد النفسى والتربوى لابد من دراسة المثير والاستجابة وما بينهما من عوامل الشخصية جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا .

٣ - الشخصية : من وجهة النظر السلوكية ، فالشخصية هى تلك الأساليب السلوكية المتعلمة والثابتة نسبيا والتي تميز الفرد عن غيره من الناس .

٤ - « الدافع Motive » : و « الدافعية Motivation » من الأساسيات التي تركز عليها النظرية السلوكية فى التعلم ، فلا تعلم بدون دافع . والدافع طاقة كامنة قوية بدرجة كافية تحرك الفرد نحو السلوك ، والدافع اما اولى ( موروث فسيولوجى ) أو ثانوى ( متعلم ) ، وعن طريق التعلم يكتسب الفرد دوافع ثانوية تقوم على الدوافع الأولية الفسيولوجية ، وهذه تسمى « الحاجات » ( Meeds ) ولها صفة الدافعية وتحدد السلوك . ووظيفة الدافع فى عملية التعلم ثلاثية الأبعاد : فهو يحرك الطاقة الانفعالية الكامنة فى الفرد ، وهو يملئ على الفرد أن يستجيب لموقف معين ويهتم به ويهمل المواقف الأخرى ، كما أنه يوجه السلوك وجهة معينة ليشبع حاجة معينة عند الفرد .

٥ - التعزيز ( Reinforcement ) : هو التقوية والتدعيم والتثبيت عن طريق الاثابة . وقد يكون التعزيز اثابة اولية مثل اشباع دافع

فسيولوجى ، ' او قد يكون اثابة ثانوية مثل ازالة الخوف . ويؤدى التعزيز بالاثابة الى تدعيم السلوك والى النزعة لتكرار السلوك المعزز ، ويرتبط التعزيز ايضا بالآثر الطيب . وقد وضع « ثورنديك Thorndike » « قانون الأثر » كقانون رئيسى مسئول عن عملية التعلم ، ومؤاده ان الاستجابات التى لها أثر طيب تميل الى البقاء . وقد ركز « سكينر Skinner » على قيمة التعزيز ، وقال ان تعلم أى سلوك يجب ان يقسم الى خطوات صغيرة متتابعة وتعزز كل خطوة تتم بنجاح ، وكل خطوة يجب ان يتم تعلمها بدرجة صحيحة وتعزز قبل الانتقال الى الخطوة التالية . وقد طبق نموذج « سكينر » للتعلم فى الارشاد والعلاج السلوكى خاصة فى المخاوف والسلوك القهرى وفى التعلم المبرمج .

٦ - الانطفاء ( Extinction ) : هو ضعف السلوك المتعلم وخموده وتساؤله اذا لم يمارس ويعزز او اذا ارتبط شرطيا بالعقاب بدل الثواب . ويلاحظ ان العقاب يكف السلوك لأن الفرد يحاول دائما ان يتجنبه ، كما يلاحظ ايضا ان الاستجابات ذات الأثر المحيط تميل الى الانطفاء .

٧ - العادة ( Habit ) : هى رابطة وثيقة بين مثير واستجابة ، وتتكون العادة عن طريق التعلم وتكرار الممارسة ووجود رابطة قوية بين مثير واستجابة . ومعظم العادات مكتسب وليس موروثا .

٨ - التعميم ( Generalization ) : اذا تعلم الفرد استجابة وتكرر الموقف ، فان الفرد ينزع الى تعميم الاستجابة المتعلمة على استجابات اخرى تشبه الاستجابة المتعلمة .

٩ - التعلم واعدادة التعلم : « التعلم » هو تغير السلوك نتيجة الخبرة والممارسة . « واعدادة التعلم » ( Relearning ) تحدث بعد الانطفاء بتعلم سلوك جديد . « ومحو التعلم » ( Delearning ) يتم عن طريق الانطفاء . وهذه السلسلة من عمليات التعلم تحدث فى التربية والارشاد والعلاج النفسى ، ويلاحظ أن عمليتى « محو التعلم » و « اعادة التعلم » تحدثان فى عملية « غسيل المخ » ( Brain Washing ) أى محاولة محو ما تعلمه الفرد ثم اعادة تعليمه من جديد .

وتفسر النظرية السلوكية المشكلات السلوكية بأنها أنماط من الاستجابات الخاطئة او غير السوية بارتباطها بمثيرات منفرة ، ويحتفظ بها الفرد لفاعليتها فى تجنب المواقف غير المرغوبة .



## ● تطبيقات النظرية السلوكية فى الارشاد النفسى :

من ابرز من اسهم فى تطبيق النظرية السلوكية فى مجال الارشاد والعلاج النفسى « دولارد وميللر Dollard & Miller » حيث زاوجا بين النظرية والتطبيق العملى . وهما يقبلان استخدام مفاهيم واساليب التحليل النفسى مثل مفهوم الصراع والعمليات اللاشعورية ، ولكنهما يصوغانها فى قالب مصطلحات التعلم الشرطى . وهما يعتبران السلوك العصابى سلوكا ناتجا عن صراع انفعالى عنيف مثل ما يحدث عندما يدفع الخوف الفرد الى تجنب استجابة تتعارض مع استجابة هادفة . ويؤدى الخوف والدوافع غير المشبعة لدى الفرد الى ظهور امراض عصابية فى شكل وسواس وقهر ومخاوف كوسيلة للتخلص من الخوف واشباع الدافع مؤقتا .

وحتى يمكن انطفاء الخوف ، فان الارشاد او العلاج النفسى يجب ان يهئ للعميل جوا نفسيا سليما بدلا من الجو السئ الذى كان فيه الخوف والخجل والشعور بالاثم مرتبطين بكلمات معينة ثم عمم منها . ويعزز المرشد او المعالج النفسى استجابة العميل عندما يتحدث وهو قلق بالاصغاء والتقبل والقهم والمشاركة الوجدانية واطاحة الحرية فى التعبير ومساعدة العميل على استعادة ذكرياته والتخلص من قلقه وخوفه . ويساعد انطفاء الخوف العميل على ان يصبح اكثر نشاطا وابتكارا وان يدرك امكاناته ويستخدمها فى تعامله مع العالم المحيط به

ويركز الارشاد النفسى على ما ياتى :

١ - تعزيز السلوك السوى المتوافق .

٢ - مساعدة العميل على تعلم سلوك جديد مرغوب والتخلص من سلوك غير مرغوب ، ومساعدته فى تعلم ان الظروف الاصلية قد تغيرت او يمكن تغييرها بحيث تصبح الاستجابات غير المرغوبة غير ضرورية لتجنب المواقف غير المارة التى سبق ان ارتبطت بها .

٣ - تغيير السلوك غير السوى ، وذلك بتحديد السلوك المراد تغييره والظروف التى يظهر فيها وتخطيط مواقف يتم فيها تعلم ومحو تعلم لتحقيق التغيير المنشود ، ويتضمن ذلك اعادة تنظيم ظروف البيئة

بما يؤدي الى تكوين ارتباطات شرطية جديدة فيما يتعلق بمشكلات العميل  
وأهدافه ، وهذا يتطلب فصل المشكلة وتخطيط مواقف تعلم تؤدي  
الى ازالة الاعراض وتعديل السلوك وحل المشكلة .

٤ - الحيلولة بين العميل وتعميم قلقه على مثيرات جديدة .

٥ - ضرب المثل الطيب والقذوة الحسنة سلوكيا امام العميل من  
جانب المرشد ، بامل ان يتعلم انماط مفيدة من السلوك عن طريق محاولة  
محاكاة المرشد خلال الجلسات الارشادية .

ويطلق على تطبيق النظرية السلوكية عمليا فى مجال الارشاد  
النفسى اسم « الارشاد السلوكى » ( Behavioral Counsel ) ، وفى ميدان  
العلاج النفسى اسم « العلاج السلوكى » ( Behavioral Therapy ) .



### ● نقد النظرية السلوكية :

تعتبر النظرية السلوكية نظرية تجريبية موضوعية لتفسير السلوك .  
ولكن وجه اليها بعض الانتقادات أهمها :

١ - تؤكد النظرية ان السلوك الملاحظ الظاهرى الموضوعى فقط  
هو الذى يوضع فى الاعتبار من الناحية العلمية .

٢ - تتغاضى النظرية عن النظر الى الفرد ككل وتهمل العناصر  
الذاتية فى السلوك .

٣ - تختلف مفاهيمها الأساسية ولا تتفق مع المفاهيم النظرية  
والتكوينات الفرضية للنظريات الأخرى مثل نظرية التحليل النفسى .

٤ - يقول البعض بأن معظم دلائلها العلمية والتجريبية الأصلية  
مبنية على البحوث على الحيوان أكثر منها على الانسان .

٥ - يتركز الارشاد السلوكى - القائم على النظرية السلوكية - على  
ازالة الاعراض فى حد ذاتها بدلا من الحل الجذرى للسلوك المشكل عن  
طريق التعرف على اسبابه الدينامية وازالتها ، وبذلك قد يكون مثل هذا  
الارشاد وقتيا عابرا .

٦ - يتحيز الكثيرون للنظرية السلوكية ويعتبرون ان الارشاد والعلاج

السلوكى فى ضوء نظرية التعلم هو الارشاد والعلاج العلمى الذى يفضل كل ما عداه من طرق الارشاد والعلاج النفسى ويطلقون عليه « علاج التعلم » ( Learning Therapy ) ، وكان غيره من طرق العلاج لا يتضمن تعلمًا .

\*\*\*

## نظرية الذات

يتضمن الترجييه والارشاد النفسى دراسة الذات ومفهوم الذات . و « الذات » هى جوهر الشخصية ، و « مفهوم الذات » هو حجر الزاوية فيها وهو الذى ينظم السلوك .

وتعتبر « نظرية الذات » ( Self Theory ) لـ « كارل روجرز Rogers » احدث واشمل نظريات الذات ، وذلك لارتباطها بطريقة من اشهر طرق الارشاد والعلاج النفسى ، وهى طريقة الارشاد والعلاج « المتمركز حول العميل » ( Client - Centered ) او « غير المباشر » ( Non - Directive ) ، وقد بنيت هذه النظرية اساسا على دراسات « روجرز » وخبرته فى الارشاد والعلاج النفسى .

وهناك مكونات رئيسية فى نظرية « الذات » لـ روجرز ، وهذه المكونات هى : الذات ، ومفهوم الذات ، والخبرة ، والسلوك ، والمجال الظاهرى . وفيما يلى شرح لهذه المكونات والمفاهيم :

١ - الذات ( Self ) : تمثل الذات قلب نظرية « روجرز » ، وهو يرى أن « الذات » هى كينونة الفرد ، وهى تنمو وتنفصل تدريجيا عن المجال الادراكى . وتتكون بنية الذات نتيجة للتفاعل مع البيئة ، وتشمل الذات المدركة ، والذات الاجتماعية ، والذات المثالية . وقد تمتص قيم الآخرين ، وتسعى الى التوافق والاتزان والثبات ، وهى تنمو نتيجة للنضج والتعلم ، وتصبح المركز الذى تنظم حوله كل الخبرات .

٢ - مفهوم الذات ( Self - Concept ) : هو تكوين معرفى منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات ، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفا نفسيا لذاته . ويتكون مفهوم الذات من افكار الفرد الذاتية المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية او الخارجية . وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التى تحدد خصائص الذات كما تنعكس اجرائيا فى وصف الفرد لذاته كما يتصورها

هو - أى « مفهوم الذات المدرك » ( Perceived Self - Concept )  
والمدركات والتصورات التى تحدد الصورة التى يتصورها الآخرون والتى  
يتمثلها الفرد من خلال تفاعله الاجتماعى « مفهوم الذات الاجتماعى »  
( Social Self - Concept ) ، والمدركات والتصورات التى تحدد الصورة  
المثالية للشخص التى يود أن يكون عليها « مفهوم الذات المثالى »  
( Ideal Self - Concept )

٣ - الخبرة ( Experience ) : يمر الفرد فى حياته بخبرات كثيرة ،  
والخبرة هى شئ أو موقف يعيشه الفرد فى زمان ومكان معين ، ويتفاعل  
الفرد معها وينفعل بها ، ويؤثر فيها ويتأثر بها . والخبرة متغيرة ،  
ويحول الفرد خبراته الى رموز يدركها ويقيمها فى ضوء مفهوم الذات  
وفى ضوء المعايير الاجتماعية او يتجاهلها ( على انها لا علاقة لها ببنية  
الذات ) او ينكرها او يشوهها ( اذا كانت غير متطابقة مع بنية الذات ) .

والخبرات التى تتفق وتتطابق مع مفهوم الذات ومع المعايير  
الاجتماعية تؤدى الى الراحة والخلو من التوتر او القلق النفسى ، والخبرات  
التي لا تتفق مع الذات ومفهوم الذات والتي تتعارض مع المعايير الاجتماعية  
يدركها الفرد على انها تهديد ويضفى عليها قيمة سالبة ، وهى حينئذ  
تؤدى الى تهديد واحباط وتوتر وقلق وسوء توافق مع تنشيط وسائل  
الدفاع النفسى التى تعمل على تشويه المدركات والادراك غير الدقيق للواقع .

٤ - الفرد ( Individual ) : الفرد لديه دافع اساسى لتأكيد  
ذاته وتحقيقها وتعزيزها ، ويتفاعل مع واقعه فى اطار ميله لتحقيق  
ذاته ، ولديه حاجة متعلمة اساسية للتقدير والاعتراف ( ويشمل الحب  
والاحترام والتعاطف والتقبل من الآخرين ) . وهذا التقدير الموجب  
للذات متبادل مع الآخرين المهمين فى حياته . وتحدد حاجات الفرد  
ودوافعه كما يدركها جانباً من سلوكه .

٥ - السلوك ( Behavior ) : هو نشاط موجه من جانب الفرد  
نحو هدف لاشباع حاجاته كما يخبرها فى المجال الظاهرى كما يدركه .  
ويتفق السلوك مع مفهوم الذات ومع المعايير الاجتماعية ، وبعضه لا يتفق  
معها ، وعندما يحدث تعارض هنا ينشأ عدم التوافق النفسى . ويمكن  
تعديل السلوك وتغييره ، ويصحبه الانفعال ، وقد يحدث نتيجة للخبرات  
او الحاجات العضوية التى لم تأخذ صورة رمزية لكونها غير مقبولة .

وأحسن فهم لسئوك الفرد يكون من وجهة نظر الفرد نفسه ومن داخل  
إطاره المرجعى أو مجاله الإدراكى .

وأفضل طريقة لآحداث التغيير فى السلوك هى أولا أحداث التغيير  
فى مفهوم الذات . وهذا ما يحاوله المرشد النفسى فى طريقة « الإرشاد  
المتركز حول العميل » أى « المتركز حول الذات » ( Self - Centered ) .

٦ - المجال الظاهرى ( Phenomenal Field ) : هو عالم الخبرة  
المتغير باستمرار ، وهو مجموع الخبرات ، وهو عالم شخصى ذاتى يتضمن  
المدركات الشعورية للفرد فى بيئته . ويتفاعل الفرد مع المجال الظاهرى  
كما يدركه ، ويعتبر - من وجهة نظر الفرد - واقعا وحقيقة .

وقد استخدم « سينج وكومز Snygg & Combs » مصطلح « المجال  
الظاهرى » - مثل « روجرز » - للإشارة الى البيئة النفسية ، ولتأكيد  
فكرة أن كل سلوك إنما يتحدد بالمجال الظاهرى للكائن الحى موضوع  
السلوك ، ويقسمان المجال الظاهرى الى قسمين :

- الذات الظاهرية ، وهى التى تتضمن كل الأجزاء فى المجال  
الظاهرى ، والتى يراها الفرد كخاصية لذاته .

- مفهوم الذات التى تتكون من أجزاء للمجال الظاهرى تتميز عن  
طريق الفرد كخصائص محددة وثابتة لذاته .

ولقد أبرز « روجرز » طبيعة مفاهيم الذات وعلاقتها المتداخلة  
فى تسع عشرة قضية تتلخص فى الآتى (٧) :

١ - يوجد كل فرد فى عالم من الخبرة دائم التغيير ، ويشكل الفرد  
مركز هذا العالم .

٢ - يستجيب الكائن للمجال كما يمارسه أو يدركه ، وهذا المجال  
الإدراكى هو « الواقع » ( Reality ) .

٣ - يستجيب الكائن الحى الى المجال الظاهرى ككل منظم .

---

C. Rogers; Client - Centered Therapy : Its Current (٧)  
Practice Implications and Theory . ( N. Y. : Houghton - Mifflin,  
1951 ) , P.P. 483 — 524 .

٤ - للكائن الحى نزعة واحدة أساسية هى ابقاء وتقوية الكائن الحى الذى يعيش الخبرة .

٥ - السلوك فى أساسه محاولة موجهة نحو هدف هو اشباع الحاجات، التى يخبرها الكائن الحى فى مجاله كما يدركه .

٦ - يصاحب الانفعال السلوك الموجه نحو هدف ويسهل له مهمته بوجه عام ، فيرتبط نوع الانفعال بتلك النواحي من السلوك التى تجد فى الطلب وذلك مقابل النواحي الاستهلاكية للسلوك ، كما ترتبط شدته بمدى الأهمية المدركة للسلوك فى الحفاظ على الكائن الحى ( الفرد ) وتدعيمه .

٧ - ان أحسن موقع ممكن لفهم السلوك هو من خلال الاطار المرجعى الداخلى للفرد نفسه .

٨ - يتميز جزء من المجال الادراكى الكلى بالتدرج ليكون الذات .

٩ - نتيجة للتفاعل مع البيئة يتكون بناء للذات ، وهو نمط تصورى منظم مرن من مدركات وعلاقات « الانا » وضمير المتكلم مع القيم التى ترتبط بهذه المفاهيم .

١٠ - القيم المرتبطة بالخبرات والقيم التى تشكل جزءا من بناء الذات هى فى بعض الحالات قيم يخبرها الكائن الحى ( الفرد ) بصورة مباشرة ، وفى بعض الحالات قيم يأخذها عن آخرين ولكن تدرك بصورة مشوهة كما لو كانت خبرت بطريقة مباشرة .

١١ - تتحول خبرات الفرد التى تحدث فى حياته ( ا ) الى صورة رمزية تدرك وتنظم فى علاقة ما مع الذات ، او ( ب ) يتجاهلها الفرد حيث لا تدرك لها علاقة ببناء الذات ، او ( ج ) يحال بينها وبين الوصول الى صورة رمزية او تعطى لها صورة رمزية مشوهة لأنها لا تتسق مع بناء الذات .

١٢ - تتسق معظم الطرق التى يختارها الفرد لسلوكه مع مفهومه عن نفسه .

١٣ - قد يصدر السلوك عن خبرات وحاجات عضوية لم تصل الى مستوى التعبير الرمزي ، وربما لا يتسق هذا السلوك مع بناء الذات ، وفى مثل هذه الحالات لا يكون السلوك منتما للفرد .

١٤ - ينشأ سوء التوافق النفسى حين يمنع الفرد عددا من خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعي ، ويؤدى هذا

بدوره الى الحيلولة دون تحول هذه الخبرات الى صور رمزية والى عدم انتظامها فى جشطلت بناء الذات ، ويسبب هذا الموقف قدرا كبيرا من التوتر النفسى .

١٥ - يتوافر التوافق النفسى عندما يصبح مفهوم الذات فى وضع يسمح لكل الخبرات الحسية والحشوية للفرد بأن تصبح متمثلة فى مستوى رمزى وعلى علاقة ثابتة ومتسقة مع مفهوم الذات .

١٦ - تدرك كل خبرة لا تتسق مع تنظيم او بناء الذات كتهديد ، وكلما زاد هذا النوع من المدركات ازداد الجمود فى تنظيم بناء الذات حتى يتسنى له المحافظة على بقائه .

١٧ - فى ظل ظروف خاصة تتضمن اساسا استبعاد اى تهديد للذات ، يصبح ادراك الخبرات التى لا تتسق مع مفهوم الذات امرا ممكنا ، كما يمكن مراجعة بناء الذات بشكل يسمح بتمثل هذه الخبرات وجعلها متضمنة فى بناء الذات .

١٨ - عندما يدرك الشخص ويتقبل فى بناء ذاته المزيد من خبراته العضوية يكتشف انه يستبدل جهاز القيم الحالى لديه - وهو قائم اساسا على ما استمدجه عن الآخرين واعطى له صورة رمزية مشوهة - بعملية تقييم متصلة ومستمرة .

١٩ - عندما يدرك الشخص كل خبراته الحسية والحشوية ويتقبلها فى شكل متسق ومتكامل فانه يصبح بالضرورة اكثر تفهما للاخرين واكثر تفهما لهم كاشخاص منفصلين .

\* \* \*

### ● أهمية نظرية الذات فى الارشاد النفسى :

يجمع الباحثون على ان احد الاهداف الرئيسية للارشاد العلاجى تنمية « مفهوم واقعى للذات » ( Realistic Self - Concept ) وان معظم حالات سوء التوافق هى نتيجة للفشل فى تنمية هذا المفهوم الواقعى ورسم الخطط التى تتلاءم معه .

ويعتقد معظم الباحثين ان الارشاد النفسى يتضمن موقفا خاصا بين المرشد والعميل حيث يضح العميل مفهومه عن ذاته كموضوع رئيسى للمناقشة ، بحيث تؤدى عملية الارشاد الى فهم واقعى للذات والى زيادة التطابق بين مفهوم الذات المدرك ومفهوم الذات المثالى الذى يعنى تقبل الذات وتقبل الآخرين والتوافق النفسى والصحة النفسية . وتؤكد معظم الدراسات

والبحوث الارتباط والعلاقة القوية بين مفهوم الذات والتوافق النفسى ،  
وأن سوء التوافق ينشأ عن ادراك تهديد للذات أو للمجال الظاهرى -  
احدهما أو كلاهما - وأن الأفراد ذوى مفهوم الذات الموجب هم أفضل  
توافقا من الأفراد ذوى مفهوم الذات السالب .

وفى مجال الارشاد المهنى يعتقد الباحثون أن الوعى « بمفهوم الذات  
المهنى » ( Vocational Self - Concept ) يعتبر عنصرا هاما فى الوعى  
بالذات ، وعلى الفرد أن يتصور مهنة ما على أنها مناسبة له قبل أن  
يختارها مهنة لذاته .

وفى مجال الارشاد الزواجى « ( Marriage Counseling )  
اتضح وجود علاقة جوهرية بين مفهوم الذات الموجب والتوافق بين الزوجين ،  
ويفضل أن يكون الارشاد الزواجى « متمركزا حول الشخص » ( Person  
Centered ) وليس « متمركزا حول المشكلة » ( Problem - Centered ) .

\*\*\*

### ● نقد نظرية الذات :

يوجه الى نظرية الذات بعض الانتقادات ، اهمها ما يلى :

١ - ان النظرية لم تبلور تصورا كاملا لطبيعة الانسان ، وذلك  
لتركيزها الكامل على الذات ومفهوم الذات .

٢ - يرى « روجرز » أن الفرد له وحده الحق فى تحقيق اهدافه  
وتقرير مصيره ، ولكنه نعى أن الفرد ليس له الحق فى السلوك الخاطيء .

٣ - يؤكد « روجرز » أن الفرد يعيش فى عالمه الذاتى الخاص ويكون  
سلوكه وفقا لادراكه الذاتى . أى انه يركز على الذاتية - وهو يركز  
الارشاد حول العميل - وذلك على حساب الموضوعية ، كما يركز على  
الجوانب الشعورية على حساب الجوانب اللاشعورية ، ولم يضع فى اعتباره  
أن الانسان يستطيع أن يصل الى الحقيقة الموضوعية وأن الجوانب  
اللاشعورية لها اهميتها .

٤ - يعطى « روجرز » أهمية ثانوية للاختبارات والمقاييس النفسية  
كوسيلة لجمع المعلومات اثناء الارشاد النفسى ، واكتفى بان أشار الى انه  
يمكن استخدام الاختبارات حين يطلبها العميل عن اقتناع بفائدتها ، وأن

المعلومات التي يحصل عليها المرشد اثناء المقابلة هي افضل المعلومات .  
وقد فاته ان على المرشد ان يلجأ الى جميع الوسائل لجمع اكبر قدر من  
المعلومات لنجاح عملية الارشاد النفسى .

ولا زالت « نظرية الذات » تعتبر من اهم نظريات الارشاد والعلاج  
النفسى .



### ● تصنيف حديث لنظريات الارشاد والعلاج النفسى :

عرض « باترسون Patterson » ( ٨ ) فى أحدث مؤلفاته تصنيفا  
حديثا لنظريات الارشاد النفسى والعلاج النفسى نلخصه فيما يانى :

#### اولا - المداخل المعرفية ( Cognitive Approaches ) :

وهى تلك التى تميل الى استخدام المنطق والعقل فى عملية الارشاد  
او العلاج النفسى وحل مشكلات العميل وما يواجهه من صعوبات او عقبات  
وتتميز هذه المداخل عادة بانها بسيطة نسبيا وخيارية ، بمعنى انها تسمح  
باستخدام وسائل عديدة ومتنوعة . . ومن انصار المداخل المعرفية كل من  
« اليس Ellis » و « بك Beck » ، و « ريمى Raimy »  
وتستند المداخل المعرفية الى الفلسفة والمفاهيم الآتية :

١ - تنفرد الكائنات البشرية بالنواحي العقلية/المنطقية وغير العقلية  
( اللاعقلية ) / غير المنطقية . وعندما يفكر البشر ويسلك بطريقة منطقية /  
عقلية فانهم يسعدون فى حياتهم ويصبحون اكثر فعالية وكفاية .

٢ - تعتبر الاضطرابات الانفعالية او النفسية - السلوك العصابى -  
نتيجة للتفكير اللاعقلى / غير المنطقى . . فالوظائف الفكرية والانفعالية  
لا تختلف أو تنفصل بعضها عن الآخر . فالانفعال يصاحب التفكير ،  
والتفكير - فى الواقع - متحيز عادة ، ومتحامل ، ويحمل الصفة الشخصية  
بدرجة كبيرة ، ولا عقلى .

---

C. Patterson ; Theories of Counseling & Psycho- ( ٨ )  
therapy. Op. Cit

٣ - ان الكائنات البشرية مهياة بيولوجيا للاتجاه نحو التفكير اللاعقلى ، وتقوم الظروف البيئية وتبنى على هذا الافتراض . والأشخاص الذين يعانون اضطرابات نفسية حادة ( ذهانية ) لديهم استعداد وتهيئة نحو التفكير المضطرب .

٤ - تتميز الكائنات البشرية باستخدام اللغة - وهى توصف بأنها « حيوانات لفظية » - ويحدث التفكير من خلال استخدام الرموز او اللغة . وحيث ان التفكير يواكب الانفعال بشتى صوره السوية وغير السوية ، فان التفكير اللاعقلى يظل ويستمر بالضرورة اذا ما استمر الاضطراب الانفعالى ، وهذا ما يميز الأشخاص المضطربين انفعاليا ، فهم يبقون على اضطرابهم ويحرصون على استمرار سلوكهم اللاعقلى غير المنطقى من خلال التعبير الداخلى عن افكارهم وآرائهم غير المنطقية اللاعقلية .

٥ - يرجع استمرار حالة الاضطراب الانفعالى الى التعبير الذاتى ، وهى تتحدد - لا من خلال الظروف او الأحداث الخارجية ، ولكن من المدركات والاتجاهات نحو هذه الأحداث المتضمنة فى العبارات التى تصاغ حولها . وقد استخلص « اليس Ellis » هذا الراى من الكتابات والنصوص القديمة سواء الاغريقية منها مثل : « يضطرب الناس ليس بسبب الأشياء ، ولكن بسبب الآراء عن هذه الأشياء » ، او فى رواية « هملت » ما جاء فيها : « ليس هناك شىء جيد او سىء ولكن التفكير هو الذى يجعله كذلك » .

٦ - ينبغى مهاجمة الأفكار السلبية والانفعالات الخاذلة للانسان والتصدى لها من خلال اعادة تنظيم المدركات والتفكير ، بحيث يصبح التفكير منطقيا وعقليا . ويستهدف المرشد النفسى او المعالج النفسى - من خلال عملية الارشاد او العلاج - ان يوضح للعميل ان طريقته فى التعبير الشخصى هى مصدر اضطرابه الانفعالى ، باعتبارها غير منطقية/لاعقلية ، وعلى المرشد او المعالج أن يساعد العميل على تصحيح طريقة تفكيره وتعبيره عن ذاته حتى تصبح اكثر منطقا وفعالية ولا ترتبط بالنواحي السلبية من الانفعالات او السلوك الشخصى الهدام .

ثانيا - مداخل نظرية التعلم ( Learning Theory Approaches ) :

يمكن تعريف « التعلم » بأنه « تغير فى الأداء يؤدى الى تغير فى السلوك » . ويهتم كل من « الارشاد النفسى » و « العلاج النفسى » بتغير

السلوك ، وعلى ذلك فانه يتضمن عملية تعلم ، وعلى ذلك فان الارشاد النفسى او العلاج النفسى هو تطبيق لمبادئ التعلم ونظرياته .

وعلى الرغم من تقبل هذا الراى من جانب معظم المشتغلين بعلم النفس والارشاد والعلاج النفسى ، الا ان الموقف الواقعى ليس بالبساطة التى صورها الراى سالف الذكر . فان معظم مداخل الارشاد النفسى او العلاج النفسى لم تنبثق من نظريات التعلم ، على الرغم مما قد يبدو ان كل اسلوب او منهج للارشاد او العلاج متواكب مع نظرية تعلم او تفسره احدى نظريات التعلم .

ونجد فى اطار « التعلم » نظريات فرعية مثل : المثير والاستجابة والتدعيم « ميلر ودولارد Miller & Dollard » ، والعلاج السلوكى ( Behavioral Therapy ) « وولب Wolpe » ، ومدخل التعلم الاجتماعى ( Social Learning Approach ) « روتر Rotter » .

ولقد سبق ان ناقشنا نظرية التعلم فى الفقرات السابقة ، ولذا سنكتفى هنا بابرار بعض النقاط الاساسية ، اضافة الى ما سبق ذكره :

١ - خلافا للمداخل السابق ذكرها للارشاد النفسى والعلاج النفسى ، فانه على الرغم من انتشار استخدام مصطلح « نظرية التعلم » ، فان « العلاج السلوكى » او « تعديل السلوك » هو بالضرورة غير نظرى وغير نسقى . فهو منهج تجربى ، قائم على التحليل التجريبي ، كما انه مدخل استدلالى وليس مدخلا استقرائيا .

٢ - تشير الدلائل الى ان المعالجين السلوكيين اصبحوا متنوعين ويسيرون فى اتجاه ما يسمى بالارشاد النفسى او العلاج النفسى التقليدى ، وخاصة فيما يتعلق بالتعرف على اهمية علاقة المرشد النفسى بالعمل . ويبدو كذلك ان المعالجين السلوكيين صاروا اكثر اعترافا باهمية المتغيرات المعرفية والوجدانية ، بما فى ذلك الوعى والادراك والشعور . كما يبدو ان هناك تباعدا عن تطبيق الوسائل المستنبطة من بحوث المختبرات والاتجاه نحو الاعتراف بتعدد السلوك الانسانى عند مقارنته بسلوك الحيوان المشاهد فى المختبر السلوكى .

٣ - يمكن القول بان مداخل التعلم للارشاد النفسى او العلاج النفسى غير مقيدة بالنماذج الكلاسيكية او الالية الفعالة . فنجد « سولتر Salter » متمسكا بالمدخل الكلاسيكى ، ونرى « وولب Wolpe »

قل ارتباطا بالاستجابة الشرطية الكلاسيكية ، بينما نجد « دولارد وميللر Dollard & Miller » ، اللذين اثبتت اعمالها من نظرية « هل Hull » ، يؤكدان مبدا « التدعيم » ، وهكذا يسيران فى اتجاه اجرائى .

وتعتبر الأعمال الحديثة فى مجال « الشرطية الاجرائية » ( Operant Conditioning ) مشتقة من آراء « سكر Skinner » . وقد كان اول استخدام للشرطية الاجرائية فى الارشاد النفسى او العلاج النفسى من خلال استخدام الشرطية اللفظية فى مقابلة الارشاد او العلاج النفسى .

### ثالثا - مداخل التحليل النفسى ( Psychoanalytic Approches ) :

ظل التحليل النفسى بتفريعاته المختلفة القلب النابض بالحركة والعمق فى العلاج النفسى على اختلاف انواعه لسنوات طويلة . ومع ظهور « العلاج المتمركز - حول - العميل » عام ١٩٤٠ الى ١٩٥٠ وكذا « العلاج السلوكى فى الستينيات أخذ تأثير التحليل النفسى يضمحل فى مجال العلاج النفسى . وينطبق هذا القول اساسا على النظرية الكلاسيكية للعلاج النفسى « فرويد » ، اما بالنسبة للفرويديين المحدثين - امثال «آدلى» ، و «فروم» ، و «هورنى» ، و «يونج» ، و «رانك» ، و «سوليفان» - فان آراءهم وكتاباتهم لا زالت تلقى اهتماما كبيرا . وقد سبق مناقشة مدخل التحليل النفسى فى عملية الارشاد النفسى بشئ من الاسهاب فى مكان آخر بهذا الفصل .

### رابعا - مداخل المدركات والظواهر الخارجية :

( Perceptual - Phenomenological Approaches ) :

يلاحظ ان هناك العديد من المداخل الى الارشاد النفسى او العلاج النفسى ، على الرغم من اختلافها بعضها عن البعض الآخر فى جوانب كثيرة ، الا انها تستترك جميعها فى اهتمامات معينة اساسية بالمدركات او المجال الادراكى للفرد / العميل .

وتفترض هذه المداخل - صراحة او ضمنا - انه طالما كان السلوك يتقرر من خلال المجال الادراكى للفرد ، فمن الضرورى ادخال بعض التعديل على المجال الادراكى قبل محاولة تغيير سلوك الفرد . وهناك بعض الاختلافات او الفروق فى الوسائل التى تستخدم لتحقيق هذا التغيير .

ويمكن تلخيص النظريات الأساسية فى مجال « المدركات والظواهر »  
فيما ياتى :

١ - تشكل الآراء السيكولوجية لـ « كيللى Kelly » المتعلقة  
« بالتكوينات/المفاهيم الشخصية » ( Personal Constructs ) إحدى نظريات  
« المدركات والظواهر » . فالمفاهيم الشخصية هى مدركات ، ومن شأن  
أى تغيير يطرأ على هذه المفاهيم أن يؤدى بالتالى الى تغيير المدركات .  
وتعتبر وسائل « كيللى » على درجة عالية من الناحية العقلية  
والعرفية ، مما قد يعتبر سببا فى عدم توضيح نفسه كأحد المتحمسين لمدخل  
« الظواهر » .

٢ - قد يمكن القول بأن « العلاج - المتمركز - حول - العميل » -  
( Client - Centered Therapy ) هو أول مدخل للعلاج النفسى يرتكز  
بوضوح وصراحة على مبادئ « علم النفس الظاهرى »  
( Phenomenological Psychology ) ويهتم ضمنا بالوسائل المناسبة أو  
المؤثرة الخاصة بتغيير مدركات العملاء .

ولقد تعرض « روجرز Rogers » لمناقشة الأسس الظاهرية  
لأسلوبه المتعلق بالعلاج - المتمركز - حول - العميل ، ولكنه لم يسهب  
أو يستفيض فى شرحه بهذا الصدد .

٣ - ومن المداخل الإدراكية فى علم النفس ما يسمى « بالتعامل »  
( Transactional ) ، وهو يستخدم للتعبير عن معالجة الأحداث كعمليات  
تدخل فى نطاق الوقت والبيئة . وأى وقت جزئى فى هذه العملية يسمى  
« بالتعامل » ويتضمن الفرد / الكائن الحى وبيئته معا . وعلى ذلك  
لا ينبغى التعامل مع أنشطة البشر كأنشطة تخصهم بمفردهم ، ولكن ينبغى  
النظر إليها كعمليات تفاعل بين الفرد وبيئته ولا يمكن فهم أحداها  
إلا بوجود الأخرى .

ومن وجهة نظر « برن Berne » فإن تحليل التعامل يقسم  
الشخصية الى ثلاثة حالات للآنا : « الوالد » ، و « الراشد » ، و « الطفل » .  
فتشتق شخصية « الطفل » من الخبرات الواقعية فى مرحلة الطفولة ،  
وتمثل « الوالدية » بسلوك الوالدين الفعلى وتأثيرهم من حيث التحريم  
والتشجيع . ويمثل « الراشد » الواقع ويتدخل بين « الوالد » و « الطفل »  
وينظم العلاقة بينهم . وهناك أربعة أوضاع رئيسية تتضمن الفرد والآخرين  
هى :

( I am Ok; You are Ok ) . ( ١ ) أنا بخير ، أنت بخير .

( I am Ok ; You are not Ok ) ( ٢ ) أنا بخير ، أنت لست بخير

( I am not Ok; You are Ok ) . ( ٣ ) أنا لست بخير ، أنت بخير .

( ٤ ) أنا لست بخير ، أنت لست بخير .

( I am not Ok ; You are not Ok ) .

٤ - ومن المداخل الادراكية / الظاهرية الشائعة للعلاج النفسى تلك المتعلقة بموضوع « الجشطلت » . وقد سبق مناقشتها ضمن نظرية «المجال» فى مكان آخر من هذا الفصل .

### خامسا - المدخل الوجودى ( Existential Approach ) :

فى خلال عرضنا للمداخل والنظريات المختلفة المتعلقة بالارشاد النفسى او العلاج النفسى ، كنا نتنقل ما بين مفهوم للعلاج باعتباره اساسا عملية عقلية معرفية لحل المشكلات الى مفهوم آخر يهتم بالاتجاهات والمشاعر والوجدان وما ينتج عنها من تنوع الوسائل المستخدمة . ولا يقصد بهذا القول ان الكائنات البشرية هى بالضرورة غير عقلية او ان الارشاد والعلاج النفسى عمليات غير عقلية فى مداخلها ، بل يقصد ان الكائنات البشرية هى اكثر من مجرد عقول ، ولذا ينبغى ان يكون الارشاد والعلاج النفسى متعلقا بالناحية النفسية اكثر منه ارتباطا بالناحية المنطقية . ويزداد التأكيد على العلاقة الارشادية اكثر منها على الوسائل المؤثرة على العميل ، وهنا يصبح محتوى عملية الارشاد قائما على الخبرات الحالية للعميل اكثر من التركيز على مشكلة العميل .

وتهتم الفلسفة الوجودية بطبيعة الانسانية ، من واقع وجودها فى العالم الحديث ، وبمعنى هذا الوجود للفرد ذاته . وهى تنعكس على الخبرات المباشرة للفرد ، وعلى وجوده ومدى ممارسته لهذا الوجود . وتمثل اسهامات العلاج الوجودى فى النظر الى الانسان ككائن موجود ، وعلى ذلك فان الخاصية الاساسية للتحليل الوجودى فى انه يهتم بعلم الوجود ، اى النسوء والنمو ، والكينونة اى وجود الشخص بذاته جالسا امام المعالج او المرشد النفسى .

وبينما لا نجد نظرية بذاتها فى المجال الوجودى ، الا اننا نرى

جوانب عامة أو عناصر أساسية تستند إليها جميع المداخل الوجودية للعلاج أو الارشاد النفسى ، وهى تتضمن الموضوعات الآتية :

١ - ان الصفة المتميزة للبقاء الانسانى هى « الوجود » ( Dasein )  
اى الكائن ذاته المتواجد فى الزمان والمكان ، والذى يدرك وجوده  
وكينونته ويتصرف على أساس هذا الوجود .

ويختلف البشر عن الحيوان بقدرتهم على وعى انفسهم وادراك  
ذواتهم ، كما يدركون الأحداث التى تؤثر عليهم فى الماضى والحاضر  
والمستقبل كمتصل مستمر . وهذا ما يجعل الاختيار واتخاذ القرار ممكنا . .  
وعلى ذلك فالانسان مسئول او مكلف لأن لديه حرية الاختيار . . ومن هذا  
المنطلق يمكن القول بان الانسان حر ، وان المؤثرات الخارجية قد تحد أو  
تقيّد تصرفاته ولكنها لا تقرر سلوكه . فالانسان هو المخلوق المدرك وبالتالي  
المسئول عن بقائه واستمرار وجوده .

٢ - ينادى الوجوديون بالرأى القائل بأنه يستحيل ان نفكر فى  
الشخص والعالم منفردا كل منهما عن الآخر ، ونجد بعض التعبيرات مثل :  
« المشاركة » ( Participation ) ، و « الحضور » ( Presence )  
و « الوجود » ( Dasein ) ، تعبر عن هذا الرأى .

وتعيش الكائنات البشرية فى ثلاثة عوالم بطريقة متآنية : « العالم  
البيولوجى » ( Umwelt ) دون اى ادراك او وعى ذاتى ، « عالم  
العلاقات » ( Mitwelt ) اى الالتقاء بالأشخاص الآخرين ويتضمن  
الادراك المتبادل ، و «عالم الذاتية» ( Eigenwelt ) وهو الوجود ذاته .

٣ - الانسان ليس كيانا ثابتا متوقفا عن الحركة ، ولكنه فى حالة  
مستمرة من التحول والحركة والتغير ، التى تشكل « الكينونة » ( Being ) .  
ويحقق الانسان ذاته من خلال المشاركة المستمرة فى عالم ملء بالأشياء  
والأحداث ، حيث يلتقى بالآخرين ويشاركهم الحوار وتبادل الآراء  
والافكار . ويعتبر العلاج النفسى لقاء او حوارا حيث يتمكن العميل - من  
خلاله - ان ينمى عادات وصفات انسانية معينة . وعلى ذلك فالكينونة  
ليست مجرد شئ يعطى مرة واحدة فقط ، ولكنها دائمة النمو والوجود .

٤ - تدرك الكائنات البشرية انه فى المستقبل القريب او البعيد لن  
يكون لها وجود ، اى تصير الى فناء . فالوجود يتضمن فكرة عدم  
الوجود ، وفكرة البقاء تتضمن عدم البقاء أو الفناء . وتؤمن الوجودية

بان الموت يمنح الحياة واقعية ومعنى ، باعتباره الحقيقة الوحيدة المطلقة فى الحياة . فالبشر يدركون أنهم سيموتون يوما ما ، وهذا امر حتمى عليهم مواجهته . والبشر قادرين على اختيار عدم الوجود فى اية لحظة ، اذ يمكنهم اللجوء الى الوحدة والانفراد أو السلبية المطلقة ، أو فقد الأهمية الذاتية ، أو الحياة الهامشية ( Marginal ) ، أو الاغتراب والتباعد ، أو الخواء .

٥ - يعتبر التهديد بعدم البقاء مصدرا للقلق السوى ، والعدوان والاعتداء . وهو سوى لأن هذا التهديد موجود دائما لدى جميع الأفراد . وتنبعث شرارة القلق فى ذروة تحقيق الفرد لذاته ، أى لحظة شعوره بقيمة ذاته وأهميتها ، حيث يسود شعور بفناء هذه الذات وفقد الوجود ذاته . وهذا يتضمن صراعا بين الوجود وعدم الوجود ، أى بين الطاقة والحيوية القائمة لدى الفرد من جهة وفقد الاحساس بالأمن النفسى من ناحية أخرى .

٦ - لا يتاثر الوجود بالاحتواء الاجتماعى والمعايير الأخلاقية . فان تقدير الذات المستند الى الشعور بالوجود أو الكينونة ليس مجرد انعكاس لوجهات نظر الآخرين عن الفرد . وعلى الرغم من انه يتضمن العلاقة والاتصال الاجتماعى، الا انه يفترض سلفا «الدنيا الذاتية» ( Eigenwelt ) المتعلقة بتوحد الذات وتميزها . وعلى ذلك ، يمكن القول بان كل فرد ليس نسخة مطابقة من الظروف والضغوط الاجتماعية السائدة . فكل انسان فريد منفرد فى صفاته وسلوكه ومتميز فى تصرفاته .

٧ - ان لدى الكائنات البشرية القدرة على تجاوز المواقف الحالية والسمو عليها ، بمعنى تجاوز الماضى ، وهذه القدرة متضمنة فى التعبير « يوجد » ( Exist ) . فالبشر يمثلون التجاوز والسمو من حيث مفهومهم للممكن ، وجلب الماضى والمستقبل لتستند الى الحاضر ، والتفكير باستخدام الرموز ، وفى رؤية أنفسهم كما يراهم الآخرون ، وفى ادراك ذواتهم فى وجودها وعملها وتعرفها واستمرارها وفعلها ، فالشعور أو الاحساس بالذات يتضمن التجاوز والسمو . وتعتبر القدرة على التجاوز اساس الحرية ، حيث تتيح الفرصة للاختيار . وعلى أى الحالات ، فهناك حدود للحياة والكينونة ينبغى تقبلها .

٨ - ان الانسان المتحضر فى عصرنا الحديث - سواء اكان سويا أم عصابيا - يتميز بالاغتراب عن العالم والمجتمع المحلى . ولا شك ان

المعالجين النفسيين والمرشدين النفسيين لا تواجههم حالياً مشكلات أو أعراض مرضية من النوع الذى كان شائعاً أيام أن كان « فرويد » يضع نظرياته فى التحليل والعلاج النفسى . فلقد أصبحت الشكاوى الحالية تدور حول الشعور بالانفراد والعزلة ، وفقد الذاتية ، والانفصال عن الآخرين والمجتمع . فلقد ابتعد الفرد عن عالمه وأصبح لا يشعر بالانتماء الى هذا المجتمع الذى يعيش فيه بل أصبح غريباً عنه ولا مأوى له فى عالم لم يختاره أو يصنعه لنفسه وأصبح لا يشعر بأى انتماء اليه .

وهناك ثلاثة مفاهيم متميزة للعلاج النفسى الوجودى :

١ - مفهوم « العصاب الوجودى » ( Existential Neurosis )  
حيث تكون الاضطرابات الانفعالية نتيجة لعدم القدرة على ادراك معنى للحياة .

٢ - مفهوم « العلاقة العلاجية » كمواجهة أو علاقة جديدة تفتح آفاقاً جديدة .

٣ - مفهوم « نقطة العلاج » ( Kairos ) وهى النقطة الحرجة حيث يصبح المريض أو العميل مستعداً لتلقى العلاج وحيث يصبح التقدم السريع والشفاء العاجل ممكناً .

\*\*\*

### ● أوجه الشبه والاختلاف بين نظريات الارشاد النفسى :

يوجد بين نظريات التوجيه والارشاد أوجه شبه وأوجه اختلاف يحسن الاحاطة بها ، وان كانت أوجه الشبه أكثر من أوجه الاختلاف . ويرى البعض أن نظريات الارشاد النفسى تختلف بعضها مع البعض الآخر ولكن دون تعارض ، فالأسس واحدة خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين المرشد والعميل . وعلى العموم فإن سبب الاختلاف أساساً هو أن كل نظرية تقوم على ملاحظات ودراسات تجريبية وممارسات كLINIكية تختلف عن الأخرى . ولكن المهم هو أن معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين النظريات تفيد فى أن هذه النظريات مجتمعة تعلمنا الكثير وان كلا منها منفردة تعلمنا شيئاً (٩) .

\*\*\*

(٩) حامد زهران ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

## ● أوجه الشبه بين نظريات الارشاد النفسى :

فيما يلى أوجه الشبه بين نظريات الارشاد النفسى :

- ١ - تسعى جميع النظريات نحو شىء واحد فى الواقع ، كما ان طرق الارشاد التى ترتبط بها تؤدى الى نفس الهدف ، وهو تحقيق الذات .
- ٢ - تحاول كل النظريات فهم كيف ينشا القلق وكيف تهب وسائل الدفاع النفسى واساليب التوافق وكيف يمكن تعديل السلوك .
- ٣ - ان البيئة والمجال النفسى أو عالم الخبرة الشخصية مهم جنباً الى جنب مع البيئة الاجتماعية وعالم الواقع .
- ٤ - ان الفرد لديه دوافع وحاجات وقوى حيوية تتحكم فى سلوكه .
- ٥ - ان الماضى يشير الى الحاضر ويؤثر فى المستقبل .
- ٦ - ان التعلم خطوة أساسية من أجل تحقيق التوافق النفسى عن طريق تغيير السلوك .
- ٧ - ان اهم ما فى عملية الارشاد النفسى هو العلاقة الارشادية التى تتسم بالجو النفسى المتقبل السمع الخالى من التهديد ، الذى يحرر قوى النمو والتوافق لدى الفرد لتحقيق الصحة النفسية .



## ● أوجه الاختلاف بين نظريات الارشاد النفسى :

- ١ - بعض النظريات نشأ فى العيادات النفسية ، وبعضها خرج من المختبرات النفسية ، وبعضها نتج عن الدراسات الاحصائية .
- ٢ - يوجد اختلافات حول الأهمية النسبية للمحددات الشعورية واللاشعورية للسلوك .
- ٣ - تختلف النظريات حول أهمية الدور الذى يلعبه التعزيز وعضوية الجماعة وخبرات الحياة الماضية - خاصة فى مرحلة الطفولة - فى تحديد السلوك .

٤ - تتفاوت النظرة الى اهمية الخبرات الخاصة والذاتية . . فالبعض يؤكد أهمية الموضوعية والسلوك الملاحظ ، والبعض يؤكد أهمية الخبرات الذاتية .

٥ - بعض النظريات تحترم الاختبارات النفسية وتؤكد أهميتها ، بينما البعض الآخر - مثل نظرية الذات - تؤكد أن الأساس الأهم هو مفهوم الفرد عن ذاته الذى يحدد سلوكه بصرف النظر عن نتائج الاختبارات .

وهكذا نجد فى اختلاف نظريات التوجيه والارشاد النفسى ما يتيح للمرشد أن يختار من كل منها او من اى منها ما قد يحتاجه عندما يتعامل مع مشكلة فرد او مشكلة جماعة ، وهذا هو « الاسلوب الخيارى » ( Eclectie ) . وهنا يستفاد من العلوم الانسانية والخبرات المختلفة فى دراسة الشخصية ، على أساس أن الشخصية تتضمن مستويات وظيفية متكاملة من النواحي البيولوجية والنفسية والاجتماعية . وقد استند المؤلف فى هذا الرأى الى خبرة سنوات طويلة فى مجال تاهيل المعوقين ، حيث تعتمد فلسفة التاهيل على « مفهوم الفريق « Team ) Concept ) فى علاج وتاهيل حالات المعوقين . ويتضمن فريق التاهيل الخبرات المختلفة فى نواحي الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع وما يرتبط بها من المعارف الأخرى .



## ● الخلاصة :

يتلخص ما سبق مناقشته بهذا الفصل فى النقاط الآتية :

١ - يرتبط التوجيه والارشاد النفسى بالعلوم الأخرى على النحو التالى :

يرتبط بعلم نفس النمو ، وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم النفس التربوى ، وعلم النفس العام ، والقياس النفسى . ويرتبط بالخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع من حيث دراسة الأسرة والنظام الاجتماعى والدراسة الميدانية للحالة . كما يرتبط التوجيه والارشاد بالعلوم الطبية من حيث المصطلحات المشتركة وكذا المعلومات الطبية اللازمة للمرشد النفسى . ويرتبط التوجيه المهنى بعلم الاقتصاد من دراسة السوق المهنية . ويدخل الدين فى عملية الارشاد الدينى حيث ان العقيدة الدينية السليمة

من أهم دعائم السلوك السوى . كما أن الارشاد والعلاج النفسى توأمان  
متشابهان الى حد كبير .

٢ - يقوم التوجيه والارشاد النفسى على نظريات علمية ، حيث أن  
المرشد النفسى ينبغى أن يقوم بعمله فى ضوء نظريات نفسية معينة . وعلى  
ذلك فقد نوقشت النظريات المختلفة نظريا وعمليا من حيث ارتباطها بعملية  
الارشاد . . وقد نوقشت النظريات الآتية من حيث مفاهيمها الأساسية  
وعلاقتها بعملية الارشاد ونقدها : نظرية السمات ، ونظرية التحليل  
النفسى ، ونظرية المجال ، والنظرية السلوكية ، ونظرية الذات .

٣ - فى ختام الفصل عقدت مقارنة بين النظريات المختلفة لابرارز أوجه  
الشبه وأوجه للاختلاف بين النظريات المختلفة ، ثم التوفيق والاستفادة  
من الآراء المختلفة فى عملية التوجيه والارشاد النفسى .

\*\*\*